

الفصل التاسع

حماس والعالم الإسلامي

تركيا وإيران نموذجاً

أ. د. طلال عتريسي

حماس والعالم الإسلامي

تركيا وإيران نموذجا

مقدمة:

تزامن الإعلان عن انطلاق حماس سنة 1987 كحركة مقاومة إسلامية ضد الاحتلال الإسرائيلي مع الانتفاضة الفلسطينية الأولى. هذه الانتفاضة ستستمر نحو سبع سنوات وستكسب حماس شهرتها وفعاليتها من مشاركتها القوية في هذه الانتفاضة. لكن المحيط العربي والإسلامي الذي لا يمكن تجاهل تأثيره على القضية الفلسطينية، والذي ستحاول حركة حماس أن تنسج معه علاقات مستقبلية، لم يكن في أفضل أحواله في تلك الفترة؛ كانت مرحلة الاضطراب والقلق في معظم البلدان العربية والإسلامية، وكان الرهان على التسوية السياسية للقضية الفلسطينية قد تزايد بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة 1982 الذي أخرج منظمة التحرير والمقاتلين الفلسطينيين منه.

في تلك المرحلة، كانت الحرب العراقية - الإيرانية التي بدأت في سنة 1980 ما تزال مشتتلة منذ سبع سنوات. وكانت العلاقات العربية الإيرانية بسبب هذه الحرب في حالة سيئة. وبعد سنة واحدة على تأسيس حماس، أي في سنة 1988، تصاعد التوتر السوري التركي (بسبب إيواء سورية لزعيم حزب العمال الكردستاني Kurdistan Workers Party (Partiya Karkerên Kurdistan- PKK) عبد الله أوجلان Abdullah Öcalan)، فحشدت تركيا جيشها على الحدود السورية، قبل أن يتم تسوية الأمر بين البلدين من دون اندلاع حرب إضافية في الشرق الأوسط. وهي مرحلة تطور العلاقات التركية الإسرائيلية من الزيارات المتبادلة إلى المشروعات المشتركة العسكرية والتجارية. وقد لا تكون مصادفة على الإطلاق، أن يدعو الرئيس التركي تورغوت أوزال Turgut Özal في الفترة نفسها، إلى ما سماه مشروع "أنابيب السلام" الذي يفترض مشاركة إسرائيلية، إلى جانب الدول العربية المعنية بقضية المياه مع تركيا. وفي سنة 1987، كانت "إسرائيل" ما تزال تحتل أجزاء واسعة من جنوب لبنان والبقاع الغربي، على الرغم من انسحابها الجزئي سنة 1985. وليس بعيداً من إيران ومن تركيا، كانت أفغانستان سنة 1987 ترزح منذ سنة 1980 تحت احتلال سوفياتي ويخوض شعبها مقاومة عنيفة ضد هذا الاحتلال. وكان

من اللافت للنظر، أن يتداعى الشباب المسلم من دول عربية وإسلامية بما في ذلك بعض الشباب الفلسطيني نفسه للقتال في أفغانستان. وقد اختطفت أفغانستان الاهتمام وبات "الجهاد" الذي تدعو إليه وتحرض عليه وسائل الإعلام العربية والإسلامية هو الجهاد ضدّ السوفيات.

أعلنت حركة حماس عن انطلاقها في سنة 1987 في هذه البيئة العربية - الإسلامية المنشغلة بمشكلات الاحتلال السوفياتي، وبال حرب العراقية الإيرانية، وبحافة الحرب السورية - التركية، وبالتوتر الإيراني السعودي، وبتطور العلاقات التركية الإسرائيلية. أي لم يتوفر في هذه البيئة الإقليمية (العربية - الإسلامية) ما يتيح لحركة حماس أن تحظى بالاهتمام المناسب الذي تحتاج إليه مع بداية تأسيسها.

لكن قدرة الانتفاضة على الاستمرار والثبات، على الرغم من كل الضغوط الإسرائيلية التي تعرضت لها، والدور البارز الذي لعبته حركة حماس فيها، سيجعل من هذه الحركة قوة فلسطينية رئيسية، وموضع اهتمام عربي وإسلامي، وسيتيح لها أن تنسج لاحقاً علاقات مع معظم الدول الإسلامية والعربية. لكن هذه العلاقات ستتفاوت بين دولة وأخرى، كما ستتفاوت الدعم الذي ستحصل عليه حماس من هذه الدول، وذلك بتفاوت مواقف هذه الدولة الإسلامية أو تلك من الصراع مع "إسرائيل" ومن حركات المقاومة ومن الانتفاضة نفسها.

لن تبقى الأبواب موصدة في وجه حماس. فعلى الرغم من الغيوم التي كانت تغطي سماء العلاقات العربية والإسلامية، لاحت في الأفق تباشير تغيرات ستمهد لانقشاع هذه الغيوم. فقد توقفت الحرب العراقية الإيرانية سنة 1988، لتبدأ بعدها مرحلة تطبيع في العلاقات العربية - الإيرانية. وقد انسحب السوفيات من أفغانستان سنة 1988، ليبدأ الأفغان مرحلة جديدة من الصراع على السلطة. وفي لبنان ستبدأ في سنة 1988 مرحلة بارزة من تصاعد عمليات المقاومة ضدّ الاحتلال الإسرائيلي.

وقد واجهت حماس منذ نشأتها تحولات استراتيجية مهمة في المنطقة العربية والإسلامية، خصوصاً "مؤتمر مدريد للسلام"، الذي أراد أن يطوي ليس صفحة الانتفاضة فقط، بل الصراع العربي - الإسرائيلي كله... فبعد احتلال العراق الكويت في مطلع آب/أغسطس 1990، وإخراجه منها بالقوة العسكرية الدولية (عاصفة الصحراء)، استدعو الولايات المتحدة إلى "مؤتمر مدريد للسلام" سنة 1991، "لحل القضية



الفلسطينية وإنهاء الصراع العربي - الإسرائيلي". وسوف تحشد واشنطن ومعها أوروبا الدعم والتأييد لهذا المؤتمر من الدول العربية والإسلامية. وسوف تشارك معظم هذه الدول في افتتاح أعماله... لذا، وجدت حماس نفسها أمام معادلة صعبة منذ انطلاقتها: بين حاجتها إلى الدعم والتأييد من محيطها العربي والإسلامي، وبين مخاوفها من إقبال هذا المحيط على الاعتراف بهذا العدو وإنهاء الصراع معه... وقد عبّرت الحركة عن هذه الرغبة في الاستقلالية من جهة، وعن الحاجة إلى الدعم والنصرة من جهة ثانية، من خلال وثائقها التأسيسية التي جاء فيها:

1. تسعى حركة حماس إلى الاتصال بمختلف الأطراف العربية والإسلامية (دول، ومنظمات، وقوى، وأحزاب، وأفراد) وإقامة علاقات إيجابية معها، بغض النظر عن توجهها أو انتمائها الفكري، أو السياسي، أو الطائفي، أو العرقي، بهدف تشجيعها على القيام بواجبها ومسؤولياتها تجاه الشعب الفلسطيني ونصرة قضيتها العادلة. وتحرص الحركة على استمرار علاقاتها واتصالاتها مع مختلف الأطراف العربية والإسلامية وعدم توقفها ما دامت تخدم القضية الفلسطينية.

2. لا تتدخل حركة حماس في الشؤون الداخلية للدول العربية والإسلامية، وترفض في الوقت نفسه تدخل هذه الدول في سياساتها ومواقفها وشؤونها الخاصة.

3. ليس للحركة معركة مع أيّ طرف عربي أو إسلامي، ولذا فهي لا تتبنى سياسة الهجوم على أيّ طرف عربي أو إسلامي، ولكنها تعبر بشكل موضوعي وملتمزم بأداب الإسلام عن ملاحظاتها ونقدها لمواقف الأطراف المختلفة من الصراع مع العدو الصهيوني.

4. تعدُّ الحركة فلسطين ساحة الصراع العسكري مع العدو الصهيوني، وتحرص على عدم نقل المعركة خارج الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولكنها لا تستنكر أيّ عمل جهادي ضدّ الاحتلال الصهيوني يطلق من أيّ جزء خارج فلسطين.

5. توضح الحركة للأطراف المختلفة أن هدف علاقاتها معهم هو تدعيم عمل الحركة في مواجهة الاحتلال الصهيوني، وأن هذه العلاقات ليست موجهة ضدّ أيّ نظام أو منظمة.

6. تدعو حركة حماس إلى وحدة الصف العربي والإسلامي، وتبارك جميع الجهود الوجدية وأشكال التعاون والتنسيق بما يخدم المصالح العامة للأمة العربية والإسلامية والقضية الفلسطينية، وتشارك في إصلاح ذات البين وفق قدراتها وإمكاناتها.

7. تنظر حركة حماس بخطورة إلى بروز محاور وأحلاف متناقضة بين الدول العربية والإسلامية، وترفض أن تكون طرفاً في أيّ من هذه الأحلاف والمحاور.
8. تسعى الحركة إلى إيجاد توازن في علاقاتها السياسية مع الأطراف العربية والإسلامية، وترفض أن تكون علاقاتها مع أيّ طرف عربي أو إسلامي على حساب طرف آخر¹.

وبناء على قاعدة هذه الرؤية الفكرية السياسية التأسيسية، عملت حماس على نسج العلاقات مع الدول العربية والإسلامية المختلفة.

أولاً: حماس ومنظمة المؤتمر الإسلامي:

لم يكن لهذه المنظمة التي صار اسمها "منظمة التعاون الإسلامي" منذ 2011/6/28 أيّ علاقات خاصة مع حركة حماس أو مع أيّ من حركات المقاومة الأخرى. لكن المنظمة كانت، بالنسبة إلى الصراع مع "إسرائيل"، ترفض أيّ عدوان إسرائيلي على الشعب الفلسطيني، وترفض السياسات الإسرائيلية التي تعرقل التفاوض مع الفلسطينيين، وتدعو إلى دولة فلسطينية... لكن المنظمة في الوقت نفسه، كانت تعبر عن مواقف الأنظمة السياسية المشاركة فيها، وليس الشعوب التي تمثلها هذه الأنظمة. وبالتالي، وقفت المنظمة بشكل عام إلى جانب استراتيجية السلام مع "إسرائيل". وكانت المنظمة بشكل عام أكثر انسجاماً في مواقفها وقراراتها تجاه القضية الفلسطينية مع الدول العربية "المعتدلة" التي تشكل كتلة كبيرة في داخل هذه المنظمة، والتي تتبنى فكرة التسوية السلمية وإقامة الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، في مقابل الاعتراف بـ "إسرائيل" والتطبيع معها. وعندما تتوقف المفاوضات أو يستمر الإسرائيلي في بناء المستعمرات تتوجه المنظمة إلى الولايات المتحدة والمجتمع الدولي لتطلب منه الضغط على "إسرائيل"، لتتوقف عن هذا البناء أو لتعود إلى التفاوض... أي أن المنظمة لم تكن تدعو إلى المقاومة في مواجهة التعنت الإسرائيلي... لذا مع انعقاد مؤتمر مدريد على سبيل المثال سنة 1991، صدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي تأييد واضح "وارتياح لعملية

¹ خالد الحروب، حماس: الفكر والممارسة السياسية؛ وميثاق حماس، انظر: أون إسلام، وثائق وبيانات، في: <http://www.onislam.net>



السلام الجارية لإقامة سلام عادل على أساس قرارات مجلس الأمن رقم 242 و338... مع التشديد على الانسحاب غير المشروط لما قبل 1967، واحترام مبدأ الأرض مقابل السلام...". وفي مثال آخر دعت منظمة المؤتمر الإسلامي، خلال اجتماع طارئ عقده في ماليزيا، الولايات المتحدة إلى سحب دعمها لخطة رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون للانسحاب من قطاع غزة، معتبرة أنها "تضر بعملية السلام". وجاءت الدعوة في البيان الختامي لاجتماع طارئ ضمّ 13 من أصل 57 من أعضاء المنظمة بطلب من السلطة الفلسطينية، بعدما دعم الرئيس الأمريكي جورج بوش خطة "فك الارتباط"، التي تنص على الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة.

ورأى رئيس الوزراء الماليزي عبد الله أحمد بدوي Abdullah Ahmad Badawi، الذي تتولى بلاده رئاسة منظمة المؤتمر الإسلامي، أن دعم الرئيس الأمريكي لخطة شارون، لفك الارتباط من طرف واحد، مؤسف للغاية، ويتناقض مع خريطة الطريق. وقال إنه يجدر بالولايات المتحدة أن تلعب دور "الوسيط النزيه"². وعندما يلتقي الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز مع الرئيس الباكستاني برويز مشرف Pervez Musharraf، بعد فوز حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية، دعيا الحركة إلى القيام بتشكيل حكومة "تعمل على تحقيق تقدم في عملية السلام"³. وعندما رحبت ماليزيا بفوز حماس في هذه الانتخابات، رأت أن الهدف من أجل السلام في الشرق الأوسط لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق الحوار والمفاوضات⁴. وحتى الرئيس الأفغاني حامد كرزاي Hamid Karzai عندما رحب بدوره بفوز حماس رأى أن التصريحات التي تشكك في حق "إسرائيل" في الوجود ليست في صالح الشعب الفلسطيني. وأكد كرزاي "إن نصيحتي لحماس هي أن تتعامل مع إسرائيل باعتبارها أمة وشعباً". وقال "نريد دولة فلسطينية ذات سيادة لكننا نعترف تماماً بحق إسرائيل في الوجود كدولة تمثل أمة" مضيفاً "إن أفغانستان تعتبر ذلك مسألة مبدئية"... وقال الرئيس الأفغاني إنه لا يستبعد احتمال إقامة علاقات دبلوماسية مع "إسرائيل"⁵.

² المستقبل، 2004/4/23.

³ الحياة، 2006/2/3.

⁴ وكالة الأنباء الوطنية الماليزية - برناما، 2006/1/27، انظر: <http://www.bernama.com/arabic/v2/>

⁵ الدستور، 2006/1/28.

ولا يفصل ممثلو منظمة المؤتمر الإسلامي بين حرصهم على تحقيق المصالحة الفلسطينية وبين تحقيق السلام مع "إسرائيل". فعندما أراد وزير الخارجية الإندونيسي حسن ويرايفيدا Hassan Wirayuda إنهاء الاقتتال بين فتح وحماس، قال إنه يبذل جهوداً مع وسطاء غربيين آخرين لإقناع حماس بالمشاركة بوفد رفيع المستوى في مؤتمر دولي يعقد في جاكرتا، مخصص لدفع حماس إلى اتخاذ مواقف معتدلة تقترب من قبول الشروط الدولية، وأن الفكرة تقوم على الإفادة من كون إندونيسيا بلداً إسلامياً معتدلاً لدفع حماس نحو مزيد من الاعتدال.⁶

لم يصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي أيّ تأييد لعمليات المقاومة ضدّ الاحتلال. بل رفضت المنظمة على سبيل المثال العمليات الاستشهادية التي نفذتها حماس وفصائل فلسطينية أخرى، مثل العملية التي قامت بها حركة حماس في القدس، فقال أكمل الدين إحسان أوغلو Ekmeleddin Ihsanoglu، أمين عام المنظمة على موقع المنظمة بالإنجليزية: "إنه يشعر بالقلق الشديد ويدين مقتل طلاب [إسرائيليين] في القدس الغربية"⁷. فردت حماس على هذا التصريح بلسان الناطق باسمها سامي أبو زهري في 2008/3/8 بالتعبير عن بالغ الاستياء من هذه التصريحات لأنها توفر للاحتلال ذريعة لتبرير جرائمه. ودعت الحركة الشعوب العربية والإسلامية للاستمرار في دعم قضية الشعب الفلسطيني.⁸

أيدت منظمة المؤتمر الإسلامي الحوار الفلسطيني - الفلسطيني بين فتح وحماس وشجعت على المصالحة والحوار وحاولت أن تلعب دوراً مباشراً في هذه المصالحة، ودعا أمينها العام "إلى الخروج من الفتنة، وإلى الحوار الوطني الفلسطيني، والفصائل الفلسطينية كافة إلى التعاطي بإيجابية مع دعوة محمود عباس إلى الحوار". لكن المنظمة رفضت إرسال قوات دولية إلى غزة "لمنع الاقتتال الداخلي". ورأى أمين عام المنظمة: "إن ما يلزم ليس قوة خارجية بل تعزيز التفاهم بين القوى الداخلية"⁹.

بادر أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي إلى التوسط بين فتح وحماس، إثر تصاعد التوتر والاشتباكات المسلحة بين الطرفين في غزة، وقام بزيارات عدة إلى دول عربية وإسلامية من أجل هذا الهدف، كما زار أوغلو كل من قطاع غزة والضفة الغربية، وقابل

⁶ الحياة، 2007/2/1.

⁷ الشرق الأوسط، 2008/3/8، وانظر: AlArabiya news, 7/3/2008.

⁸ الحياة، 2008/3/9.

⁹ الشرق الأوسط، 2007/6/15.

مسؤولين في حركتي فتح وحماس... ونشرت المنظمة بعد تلك الزيارة بنود "اتفاق التهدئة" بين فتح وحماس، الذي يتضمن ثلاث نقاط هي: تهدئة شاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وسحب كل المظاهر المسلحة، وإنهاء المسيرات، وتشكيل لجنة قضائية مستقلة؛ كما دعت إلى استئناف الحوار الوطني بين جميع الفصائل، وخاصة بين حركتي فتح وحماس دون شروط مسبقة. وقال البيان: إن الرئيس الفلسطيني محمود عباس ورئيس الوزراء إسماعيل هنية وافقا على أن تلعب منظمة المؤتمر الإسلامي وأمينها العام دوراً أساسياً في تنفيذ هذا الاتفاق وتحقيق أهدافه. ودانت المنظمة كل أعمال العنف في قطاع غزة والضفة الغربية، أياً "كان الطرف المسؤول عنها"¹⁰.

وفي إطار سعي المنظمة للتوسط من أجل الحوار بين فتح وحماس، دعا الرئيس السنغالي عبد الله واد Abdoulaye Wade، بوصفه رئيساً دورياً لمنظمة المؤتمر الإسلامي، إلى استضافة مندوبين من فتح وحماس "للبدء بحوار أخوي". وبحسب المتحدث باسم الرئيس السنغالي، فإن المرحلة الأولى ستكون فلسطينية - فلسطينية، والثانية ستكون مرحلة السلام مع "إسرائيل"¹¹. وبعد العدوان الإسرائيلي على غزة، قام الأمين العام للمنظمة، أكمل الدين إحسان أوغلو، بزيارة إلى القطاع، والتقى مسؤولين من حماس "في رسالة تضامن مع شعب غزة"¹².

وعندما اجتمع وزراء خارجية سبع دول إسلامية؛ هي السعودية، ومصر، والأردن، وتركيا، وإندونيسيا، وماليزيا، بدعوة من باكستان لدعم "اتفاق مكة" بين فتح وحماس، وبحث في قضايا عديدة تهمُّ العالم الإسلامي وعلى رأسها القضية الفلسطينية؛ قال دبلوماسيون مطلعون على التحركات الخاصة بعقد القمة، إنها تستهدف مساندة اتفاق مكة، وإقناع الولايات المتحدة بضرورة العمل على استئناف عملية السلام، والضغط على حماس لقبول شروط اللجنة الرباعية الدولية لحل الصراع¹³.

لذا يمكن القول إن العلاقة الأبرز كانت بين حماس وبين بعض دول هذه المنظمة مثل تركيا وإيران. في حين بقيت علاقاتها مع الدول الأخرى تحت سقف منظمة المؤتمر

¹⁰ الخليج، 2007/6/28.

¹¹ الحياة الجديدة، 2006/6/8.

¹² القدس العربي، 2009/3/16.

¹³ السفير، 2007/7/22.

الإسلامي، التي تراوحت بين الزيارات وإعلان الدعم، أو محاولة الوساطة، أو رفض العدوان. لكن علاقة حماس مع تركيا وإيران لها طبيعة سياسية واستراتيجية مختلفة نظراً لأدوار هاتين الدولتين في الشرق الأوسط، ونظراً لاختلاف استراتيجيتهما تجاه القضية الفلسطينية وتجاه "إسرائيل" نفسها، وسبل المواجهة معها.

ثانياً: حماس وتركيا:

منذ نشوء "إسرائيل" أقامت تركيا علاقات دبلوماسية كاملة معها، ولم تشارك تركيا في دعم الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي؛ بل كانت تركيا مع جارتها إيران جزءاً من استراتيجية حلف شمال الأطلسي (الناتو) North Atlantic Treaty Organization (Nato) لمواجهة النفوذ السوفياتي وتطويقه في منطقة الشرق الأوسط. وكان هذا الحلف مؤيداً لإقامة "إسرائيل" ومدافعاً عنها. وكان ديفيد بن جوريون David Ben-Gurion يرى أن حماية "الكيان العبري المهدد" من دول عربية كثيرة، يكون بتطويق هذه الدول بأخرى مهمة وكبيرة مثل تركيا وإيران ومؤيدة للدولة العبرية¹⁴. أي أن تركيا كانت إلى جانب السياسات الإسرائيلية تؤيدها وتدافع عنها انسجاماً مع المحور الغربي الذي تنتمي إليه، ومع طبيعة القوى العسكرية العلمانية التي تحكّم قبضتها على السلطة وعلى توجيه سياساتها الإقليمية. لكن التغيير التدريجي في سياسات تركيا "الإسلامية"، بدأ حديثاً في منتصف التسعينيات بعد وصول زعيم حزب الرفاه Welfare Party (Refah Partisi) الإسلامي نجم الدين أربكان Necmettin Erbakan إلى السلطة سنة 1996. الذي سيمهد لاحقاً لعلاقات تركية مختلفة مع قضايا العالم الإسلامي وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، بحيث سيتطور بعد ذلك إلى علاقات مباشرة بين الحزب الحاكم "حزب العدالة والتنمية" The Justice and Development Party (Adalet ve Kalkınma Partisi) مع حركة مقاومة إسلامية فلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي مثل حركة حماس.

¹⁴ يوسي ألفر، "العلاقات الإسرائيلية المتوترة مع تركيا وإيران: بعد "شدّ الأطراف"، سلسلة ترجمات الزيتونة (64)، شباط/فبراير 2011، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، انظر: <http://www.alzaytouna.net/permalink/4439.html>



تأسس حزب العدالة والتنمية في 2001/8/14، بعد انشقاقه عن حزب الفضيلة Virtue Party (*Fazilet Partisi*) الإسلامي وزعيمه نجم الدين أربكان. واستطاع حزب العدالة والتنمية الوصول إلى الحكم في سنة 2002. ويصنف الحزب نفسه بأنه حزب محافظ معتدل، غير معاد للغرب، يتبنى رأسمالية السوق، ويسعى لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي (European Union (EU)، ويحرص على ألا يستخدم الشعارات الدينية في خطاباته السياسية¹⁵. ولعل هذا الحرص يعود إلى تصالح الحزب مع علمانية الدولة، ومع مؤسسها مصطفى كمال أتاتورك Mustafa Kemal Atatürk، وعدم رغبته في استفزاز الجيش والمؤسسة العسكرية "حامية الدستور والعلمانية" في تركيا.

سعى حزب العدالة والتنمية إلى دور إقليمي فاعل ومؤثر لتركيا. وهذا ما عبرت عنه أطروحة وزير خارجيتها أحمد داود أوغلو Ahmet Davutoglu في مؤلفه الشهير "العمق الاستراتيجي"¹⁶: الذي أكد فيه قدرة تركيا على توطيد العلاقات مع قادة دول المنطقة وشعوبها من خلال استراتيجية "صفر مشاكل"، التي ستسمح لتركيا بلعب دور فاعل مع محيطها، بحيث تتحول إلى بلد "مركزي" يحتاج إليه الجميع. هذا التوجه الاستراتيجي الجديد لتركيا نحو جوارها العربي - الإسلامي هو الذي سيسمح لحزب العدالة والتنمية أن يلعب أدواراً جديدة لم تعهدها بلاده تجاه القضية الفلسطينية. بحيث ستكون هذه الأدوار موضع اهتمام حكومات المنطقة، ورهان شعوبها وقواها السياسية وحركات المقاومة فيها... هكذا سنشهد في عهد حزب العدالة والتنمية، وخصوصاً منذ سنة 2006، مشاركات شعبية تركية واسعة دعماً وتأييداً للشعب الفلسطيني، من جمع التبرعات، إلى التظاهر تنديداً بالاعتداءات على قطاع غزة بعد أسر الجندي جلعاد شاليت Gilad Shalit في أواخر حزيران/ يونيو 2006، إلى استقالة مجموعة من النواب الأتراك من عضوية لجنة الصداقة البرلمانية التركية - الإسرائيلية Turkey-Israel Inter-Parliamentary Friendship Group¹⁷.

¹⁵ قسم الأرشيف والمعلومات - مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، تركيا والقضية الفلسطينية، سلسلة تقرير معلومات (17) (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010)، ص 32-33.

¹⁶ أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي، موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية (قطر: مركز الجزيرة للدراسات، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2010).

¹⁷ قسم الأرشيف والمعلومات - مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، تركيا والقضية الفلسطينية، ص 33.

1. محددات السياسة التركية تجاه حماس:

يمكن تلخيص أبرز محددات السياسة التركية تجاه حماس، وتجاه قضية فلسطين بشكل عام، تحت حكم حزب العدالة والتنمية (منذ سنة 2002) بما يلي:

- أ. الاستجابة للشعور بالانتماء الإسلامي، وللموروث التاريخي، وللرغبة الشعبية للأترك في دعم قضية فلسطين. وبالتالي العمل من خلال دعم الملف السياسي والإنساني الفلسطيني على استقطاب شرائح واسعة من الأتراك المؤيدة للشعب الفلسطيني، والمعادية للكيان الإسرائيلي.
- ب. مراعاة الخلفية الإسلامية والمحافظة للحزب، شرط ألا يؤثر ذلك سلباً على برامجه وأوضاعه الداخلية، ولا على علاقاته الإقليمية والدولية.
- ج. التعامل مع قضية فلسطين كمدخل رئيسي للمنطقة العربية والشرق الأوسط، وللعب دور فاعل في البيئة الإقليمية المحيطة بتركيا.
- د. مراعاة التدرج، بحيث تكون قدرة الحزب الحاكم على الدعم واتخاذ المواقف السياسية متناسبة مع قوة وضعه الداخلي ومتانته.
- هـ. مراعاة عضوية تركيا في حلف الناتو الذي تقوده أمريكا، ومراعاة رغبة الحزب الحاكم في دخول تركيا عضوية الاتحاد الأوروبي، وبالتالي عدم تجاوز سقف سياسات أو خطوط حمراء تؤدي إلى تآزيم علاقته مع هذه القوى.
- و. مراعاة علاقات تركيا الرسمية مع "إسرائيل" بأشكالها الاقتصادية والسياسية والعسكرية؛ بحيث يتم التدرج في تخفيف العلاقة أو فكها، أو في اتخاذ مواقف حادة تجاهها، دون أن يتسبب ذلك بخلخلة وضع الحزب الحاكم داخلياً، أو في مواجهة مباشرة مع الغرب.
- ز. يدرك حزب العدالة والتنمية أنه يعمل في ظلّ نظام سياسي علماني، وفي بيئة تحتكم إلى الديمقراطية وصناديق الاقتراع؛ وأن لديه خصوماً كثيرين في الساحة المحلية، وأن للعالم الغربي أدوات نفوذ مختلفة يمكن أن تعمل على إسقاطه انتخابياً من خلال تشويه الصورة أو افتعال الأزمات، وبالتالي فعليه أن يراعي شروط اللعبة السياسية؛ ومدى متانة جبهته الداخلية وقاعدته الشعبية.

وعلى ذلك، فإن الحزب سيستجيب للسقف العربي والإسلامي العام في دعم مسار التسوية السلمية، ودعم المبادرة العربية، وفي عدم الدخول في دعم مكشوف للمقاومة



الفلسطينية، وعدم الدخول في تحدٍّ مكشوف للقوى الغربية وللكيان الإسرائيلي. لكنه سيلعب في "المنطقة الرمادية"، وسيرفع سقفه تدريجياً بقدر ما يقوى وضعه الداخلي والإقليمي والدولي. ومع ذلك، فسيظل بعيداً عن السقف الإيراني المعلن في دعم المقاومة، وفي الموقف تجاه إزالة "إسرائيل".

2. دعم شرعية حماس:

على الرغم من تحولات سياسة تركيا الخارجية نحو "العمق" العربي - الإسلامي، وعلى الرغم من ارتفاع مستوى الاهتمام بالقضية الفلسطينية مع حزب العدالة والتنمية، إلا أننا لم نشهد أيّ علاقات مباشرة بين هذا الحزب، وهو في موقع السلطة منذ 2002، مع حركة حماس، إلا بعد فوز هذه الأخيرة في الانتخابات التشريعية في كانون الثاني/يناير 2006. فقامت تركيا باتصالات مبكرة بحركة حماس، بالرغم من المعارضة الغربية الإسرائيلية، وتبنت حكومة رجب طيب أردوغان Recep Tayyip Erdoğan موقفاً رسمياً يدعو إلى فتح قنوات الحوار مع حماس وضمها إلى الحركة السياسية والدبلوماسية لإيجاد حلّ للقضية الفلسطينية.

في 2006/3/28 وبعيد الانتخابات الفلسطينية بشهرين، أصدرت الخارجية التركية بياناً دعت فيه إلى منح حكومة حماس الفرصة من أجل إثبات نفسها، ودعت المجتمع الدولي إلى اتخاذ موقف إيجابي من حكومة حماس، ومنحها الفرصة لكي تقوم بواجباتها ومسؤولياتها، وقالت الخارجية في بيانها: "ونحن كتركيا نتمنى من الصميم أن تتحقق الشروط اللازمة كافة من أجل بدء مرحلة جديدة تنعش آمال السلام في المنطقة"¹⁸. كما تمت على حماس المساهمة في وقف "دائرة العنف". وفي آذار/مارس 2006، تلقى رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل دعوة لزيارة أنقرة لإجراء محادثات مع كبار المسؤولين في وزارة الخارجية التركية، وقد التقى الوفد، الذي ضمّ أيضاً أسامة حمدان ممثل الحركة في لبنان، الرئيس التركي عبد الله غول Abdullah Gül. وقال رجب طيب أردوغان في مقابلة معه في 2006/2/2: "إن حماس فازت في الانتخابات الفلسطينية ويجب علينا أن نحترم قرار الشعب الفلسطيني...".

¹⁸ Hurriyet newspaper, 31/3/2006, <http://www.hurriyetdailynews.com/ankara-urges-giving-a-chance-to-hamas-led-govt.aspx?pageID=438&n=ankara-urges-giving-a-chance-to-hamas-led-govt8217t-2006-03-31>

رأت تركيا أن أحد أهم شروط نجاح الوساطة التركية بين الفلسطينيين و"إسرائيل" هو أن يتم إشراك القوى الفلسطينية الفاعلة كلها، ومنها حماس التي فازت بأغلبية المقاعد النيابية.

وفي 2010/5/12 كرر الرئيس غول إن حماس فازت في الانتخابات ولا يمكن بالتالي تجاهلها¹⁹. وتأكيداً على اعتراف تركيا بشعبية حماس وشرعيتها وتأثيرها، وسعيًا لإيلائها موقعاً من عملية التسوية، التقى أحمد داود أوغلو بخالد مشعل في دمشق في 2010/7/23. وقد استمرت تركيا في الدفاع عن حماس كحركة سياسية غير إرهابية، حيث قال أردوغان أن "حماس فازت بالانتخابات الفلسطينية بإرادة الشعب، ولا يمكنني أن أقبل وصف حماس بأنها منظمة إرهابية، وقد قلت ذلك لمسؤولي الإدارة الأمريكية، وأؤكد اليوم مرة أخرى"²⁰.

3. دعم مسار التسوية السلمية وإدماج حماس فيها:

وعلى الرغم من تأييد تركيا الشعب الفلسطيني، والتنديد بالاعتداءات الإسرائيلية على هذا الشعب، لا يرفض قادة حزب العدالة والتنمية مبدأ التفاوض والتسوية السلمية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وستختار تركيا الرسمية مسار "السلام"، وسيعمل قادة الحزب على التوازن في علاقاته الإسرائيلية والفلسطينية.

عندما زار عبد الله غول، في 2005/1/4 مقر السلطة الفلسطينية في رام الله، قال بعد لقائه مسؤولين فلسطينيين: "إن الأساليب التي تستخدمها إسرائيل ضدّ الشعب الفلسطيني... لن تجلب الأمن والراحة لها..." ورأى غول: "أن ترتيب إسرائيل الانسحاب من غزة مع السلطة الفلسطينية، ووضعه في سياق تنفيذ خريطة الطريق، سيكون فرصة جديّة لإطلاق عملية السلام والعودة إلى طاولة المفاوضات"; مُنوهاً بأن تركيا مستعدة لبذل ما في وسعها وتقديم يد العون للطرفين، من أجل التوصل إلى اتفاق سلام²¹. أما "الطريق الوحيد" للوصول إلى هذا السلام فهو بالنسبة إلى غول: "اتفاق شامل يقوم على أساس التعايش بين دولتي فلسطين وإسرائيل، وإن التوصل

¹⁹ الشرق الأوسط، 2010/5/13.

²⁰ الحياة، 2010/6/5.

²¹ قسم الأرشيف والمعلومات - مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، تركيا والقضية الفلسطينية، ص 36.



إلى اتفاق سلام وفقاً لقرارات مجلس الأمن، والأمم المتحدة هو الحل الأمثل للصراع العربي الإسرائيلي²².

من خلال هذه الرؤية التركية، التي تؤكد على أولوية السلام والتفاوض لحل الصراع العربي - الإسرائيلي، يرى أيضاً رجب طيب أردوغان أن تحقيق هذا السلام غير ممكن، من دون إشراك حركة حماس كطرف أساسي في المعادلة. أي أن أردوغان يريد أن تكون حماس شريكاً في عملية التفاوض، بعد الاعتراف بها من الطرف المقابل الإسرائيلي والأمريكي. وهذا ما صرح به أردوغان في 2005/6/15 بعد لقائه المبعوث الأمريكي إلى الشرق الأوسط جورج ميتشل George Mitchell²³.

لم يغير فوز حماس في المجلس التشريعي للسلطة الفلسطينية في 2006/1/25 من ثوابت السياسة التركية تجاه أولوية السلام والتفاوض. بل إن هذا الفوز شجع الحكومة التركية على الدفاع عن مشروعية مشاركة حماس المنتخبة في العملية السلمية وفي التفاوض حول هذه العملية، مقابل تراجع حماس عن المقاومة المسلحة. وقد كشف رجب طيب أردوغان، بعد هذا الفوز بأسابيع قليلة، أنه: "بحث والرئيس الباكستاني برويز مشرف في مبادرة مشتركة، يكون لمنظمة المؤتمر الإسلامي دور فيها، ينطوي على قيامنا بدور من نوع الوسيط بين إسرائيل والفلسطينيين". أما الأهم في هذه المبادرة التي يفكر فيها أردوغان مع الرئيس الباكستاني، فيقوم على أساس "الشرح لحماس أن سياسة عدم الاعتراف بإسرائيل لن تكون مساعدة في هذه العملية". وفي مقابل هذا الاعتراف من حماس بـ"إسرائيل"، على هذه الأخيرة: "الأقول بأنها لن تعترف بنتائج الانتخابات أو بحماس في الحكومة". ولم يكتف أردوغان بذلك، بل توجه إلى حماس مباشرة قائلاً: "على الأخوة في حماس أن يتركوا عاداتهم وتصرفاتهم في الماضي للماضي. عليهم أن يدخلوا عالماً جديداً بنظرة جديدة الآن وقد أصبحوا عملياً طرفاً في الحكومة". وفي ما يبدو نوعاً من التتابع مع خطاب السلطة الفلسطينية، شدد أردوغان على "أن السلاح يجب يكون فقط في أيدي القوات المسلحة لأي دولة... وفي مثل هذه العملية إنني مقتنع أن حماس ستتحرك، ويجب أن تتحرك نحو الوسط، فالتطرف لن

²² المرجع نفسه، ص 37.

²³ المرجع نفسه.

يساعد في شيء، وهذا ينطبق على إسرائيل أيضاً". ودعا أردوغان إلى التمييز بين حماس الأمس وحماس اليوم²⁴.

أرادت السياسة المعلنة لقادة العدالة والتنمية من حماس الابتعاد عن العنف والاعتراف بـ"إسرائيل" من أجل تحقيق السلام في الشرق الأوسط. لذلك عندما أثارَت دعوة حكومة حزب العدالة والتنمية وفداً من حماس لزيارة أنقرة في 2006/2/16 نقاشات واعتراض في أروقة الخارجية التركية، دافع أردوغان عن الزيارة قائلاً: "إن أنقرة تسعى لدور أكبر في الشرق الأوسط"، مضيفاً إن تركيا "لا يمكنها أن تقف موقف المتفرج... وإن المسؤولين الأتراك أوضحوا لوفد الحركة موقف المجتمع الدولي بشأن ضرورة التخلي عن العنف والاعتراف بإسرائيل". وقال: "لقد وجهنا الرسالة الصحيحة في الوقت المناسب"²⁵.

وبعد العدوان الإسرائيلي على غزة أواخر 2008 ومطلع 2009 عادت تركيا إلى التأكيد على أن رؤيتها للحل هي في "مبادرة السلام العربية" التي ستؤدي إلى دولة فلسطينية، وقد عبر عن ذلك صراحة عبد الله غول بقوله: "نحن ندعم مبادرة السلام العربية، ونعتقد أنها أفضل حلّ لمشكلات المنطقة"²⁶. كما حاول أردوغان أن يثبت عدم انحيازه إلى حماس بعد الانتقادات الشديدة التي وجهها إلى الحكومة الإسرائيلية إثر العدوان على غزة، فقال: "مخطئ من يعتقد أن أنقرة مع حماس وضد إسرائيل... تركيا تريد السلام"²⁷. وقد سبقه إلى هذا التبرير وزير الخارجية علي باباجان Ali Babacan، الذي دعا حماس بعد نحو شهر فقط على العدوان على غزة: "إلى انتهاء سياسة سلمية لتحقيق أغراضها بدلاً من الكفاح المسلح"²⁸.

إن الإدانة التركية للعدوان الإسرائيلي على غزة وللحصار الجائر، لم تبدل استراتيجية "السلام" التركية المعلنة. ولذلك، عندما قدمت تركيا رؤيتها لوقف إطلاق النار من خلال مبادرة سياسية، ذكرت صحيفة صباح التركية في 2009/1/3 أنها تقوم

²⁴ المرجع نفسه، ص 39.

²⁵ المرجع نفسه، ص 40.

²⁶ السفير، 2009/2/6.

²⁷ الشرق الأوسط، 2009/2/15.

²⁸ الدستور، 2009/1/28.



على وقف إطلاق النار العاجل في غزة، وتهيئة الأرضية المناسبة لاستئناف مفاوضات السلام بنشر قوات لحفظ السلام في غزة، واستعادة التهدئة بين حماس و"إسرائيل"²⁹.

استمرت الدعوات التركية لحماس للانخراط في العملية السياسية حتى بعد العدوان الإسرائيلي على غزة، لا بل باتت هذه الدعوات أكثر صراحة ووضوحاً بعد ذلك العدوان؛ فقد قال بورك أوزغارغن Burak Özügergin، مستشار وزير الخارجية التركي علي باباجان: "إن أنقرة ترى حماس في مفترق طرق، وعليها أن تختار بين حمل السلاح والانخراط في العملية السياسية". وكان باباجان قد صرح لصحيفة ميليت Milliyet التركية ولصحف أخرى في 2009/1/27: "إن على حماس تحديد موقفها في قضية الصراع في الشرق الأوسط بشكل واضح. وعليها أن تقرر ما إذا كانت تريد أن تكون منظمة مسلحة أم حركة سياسية. واقتراحنا هو أن تعمل حماس في إطار النظام السياسي الفلسطيني"³⁰. وفي الإطار نفسه من الدعوات التركية إلى حماس للانخراط في العملية السياسية، أشارت بعض التقارير إلى خطة تركية من مرحلتين لمعالجة الوضع في غزة بعد الحرب الإسرائيلية على القطاع:

أ. تحقيق وقف إطلاق النار، مع قوات حفظ سلام دولية بمشاركة قوات تركية وعربية.
ب. إنجاز تفاهم بين الفصائل الفلسطينية استعداداً لمفاوضات السلام مع "إسرائيل"³¹.

وعندما حضر أردوغان كضيف في الدورة العادية للقمّة العربية الـ22، التي عقدت في مدينة سرت الليبية في 27-28/3/2010، قال: "... إن أكثر المشاكل مصيرية والتي تتطلب السرعة في إيجاد الحل لها في منطقتنا، هي المشكلة الفلسطينية...، واليوم يواجه المجتمع الدولي امتحاناً صعباً وجديداً في إنعاش مسيرة السلام.. وما يقع على عاتق الأطراف في هذه المرحلة هو إعطاء السلام فرصة صادقة..."³².

وحتى عندما تدهورت علاقات أنقرة مع تل أبيب، بعد الاعتداء الإسرائيلي على سفينة مافي مرمرة Mavi Marmara، ومقتل تسعة ناشطين أتراك، ورفض "إسرائيل"

²⁹ محمد نور الدين، "مركزات السياسة التركية تجاه قضية فلسطين"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 82، ربيع 2010، ص 46.

³⁰ الشرق الأوسط، 2009/1/18.

³¹ The Daily Star newspaper, Beirut, 16/2/2009.

³² قسم الأرشيف والمعلومات - مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، تركيا والقضية الفلسطينية، ص 38.

طلب تركيا الاعتذار عن ارتكاب هذه المجزرة... رأى أردوغان مشكلته مع عدوانية الحكومة الإسرائيلية، وليس مع الإسرائيليين أو اليهود أنفسهم، فقال: "إن مشكلتنا ليست مع الإسرائيليين، أو مع الشعب اليهودي، مشكلتنا مع حكومة إسرائيلية طاغية تمارس إرهاب الدولة"³³.

وخلافاً لكثير من التوقعات التي اعتقدت أن تركيا قد انحازت بعد خلافها مع "إسرائيل" إلى الموقع المضاد تماماً، أي إلى قضية المقاومة و"محور الممانعة"، فقد حافظت تركيا على علاقتها مع حماس، ضمن حساباتها الحساسة، التي لا ترغب في قطع العلاقة تماماً مع "إسرائيل"، ولا ترغب في الدخول في نزاع مع أمريكا وأوروبا. حتى إن نائب رئيس الحكومة التركية وأحد قادة حزب العدالة والتنمية، حسين تشيليك Hüseyin Çelik، رفض في حوار مع صحيفة ميليت التركية الانحياز إلى حماس: "لأننا نحمي الشعب الفلسطيني. قد يكون اسمه حماس أو منظمة التحرير الفلسطينية...". لكن في المقابل ثمة من يرى أن علاقات حماس مع تركيا قد تطورت كثيراً، حيث تبدو حماس بالنسبة للأتراك منظمةً صالحةً، فقد:

كانت ضعيفاً [حتى سنة 2010] سبع مرات في إسطنبول، وأقامت اتصالات متعددة مع الحكومة... لذا ينبغي أن لا يتوقع المرء اليوم أن يعارض الأتراك الرؤية الفكرية لحركة حماس أو سياساتها... وتكشف العديد من اجتماعات حماس وجماعة الإخوان المسلمين من مختلف أنحاء العالم في إسطنبول جهود حزب العدالة والتنمية لارتباط أعضاء هذه اللقاءات مع الأتراك، ما يدعم الفكرة بأن هؤلاء الناس ينتمون جميعاً إلى ما يعرف سياسياً بـ"العالم الإسلامي الجديد"، ومهمته محاربة إسرائيل ومعارضة سياساتها ووجودها في الشرق الأوسط.

4. دعم حماس في وجه العدوان والحصار:

وقف قادة حزب الحرية والعدالة ضد الممارسات الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني في غزة أو في مدن أخرى ودانوا الاعتداءات... ودانت تركيا اغتيال الشيخ أحمد ياسين، مؤسس حركة حماس الذي اغتالته "إسرائيل" سنة 2004، ورأته "عملاً ارهابياً" مثل

³³ الحياة، 2010/6/5.



ما رأَت السياسة الإسرائيلية في قطاع غزة "إرهاب برعاية الدولة"³⁴، لكن تركيا حتى تحت حكم حزب العدالة والتنمية ظلت أكثر حذراً في الإعلان أنها إلى جانب المقاومة ضدّ "إسرائيل".

تحولت حماس بعد الانتخابات التشريعية في 2006 وبعد سيطرتها على قطاع غزة في السنة التالية 2007 إلى القوة الرئيسية في قطاع غزة، في مقابل السلطة الفلسطينية التي يقودها محمود عباس في رام الله. وبات من الصعب على أيّ دولة تتعامل مع الموضوع الفلسطيني، أو عملية التسوية، أو قضية التفاوض، أن تتجاهل حركة حماس. فقد باتت الحركة "لاعباً" أساسياً ينبغي الاستماع إلى رأيه والوقوف على ما يريد، والاطلاع على ما يرفض، في المعادلة الداخلية الفلسطينية، أو في معادلة الصراع أو التفاوض مع "إسرائيل". كما أصبحت مواقف حزب العدالة والتنمية تجاه القضية الفلسطينية أكثر تأثراً بعد الحصار الإسرائيلي لقطاع غزة. فقد اتخذت القيادة التركية مواقف حادة من هذا الحصار ودعت بشكل متواصل إلى التراجع عنه. كما دان حزب العدالة والتنمية الحرب الإسرائيلية على غزة في نهاية 2008 وبداية 2009 و"الجرائم" التي ارتكبتها الجيش الإسرائيلي في هذه الحرب. ومع استراتيجية تركيا "صفر مشاكل"، بات الدور التركي مقبولاً من الأطراف كافة، ليس من حركة حماس التي لا ترفض أصلاً أيّ دعم من أيّ دولة عربية أو إسلامية، بل بات الدور التركي مقبولاً من "إسرائيل" نفسها؛ خصوصاً وأن تركيا تستطيع بهذه العلاقة مع حماس أن تنقل وجهة نظرها إلى الأطراف الدولية والغربية³⁵.

وقد حملّ أردوغان "إسرائيل" مسؤولية العدوان على قطاع غزة، ورأى أنها لم تحترم شروط التهدئة على الرغم من التزام حماس بها. لكن أردوغان حملّ حماس جزءاً من المسؤولية، بسبب إطلاقها الصواريخ على المستعمرات الإسرائيلية، ما أدى إلى إشعال التوتر، كما أن اتصالات تركيا مع حركة حماس في أثناء العدوان على غزة شددت على "ضرورة نزع ذرائع إسرائيل، ووقف إطلاق الصواريخ من غزة عليها، لأنها عديمة الفائدة"؛ كما صرح عبد الله غول أكثر من مرة³⁶. ورأى أردوغان من جانبه

³⁴ الغد، 2007/7/25.

³⁵ قسم الأرشيف والمعلومات - مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، تركيا والقضية الفلسطينية، ص 44.

³⁶ محمد نور الدين، "مركزات السياسة التركية تجاه قضية فلسطين"، ص 28.

أن ما يجري هو "ضربة لمبادرات السلام العربية الإسرائيلية"³⁷. وقد رأى أردوغان في العدوان "جريمة إنسانية"، وأن على "إسرائيل" وقفه، وقام أردوغان بجولة عربية واسعة للعمل على تطوير موقف عربي تركي مشترك من الحرب. وبعد أن زار أردوغان الرئيس المصري في 2009/1/1، دعا "إسرائيل" إلى وقف إطلاق النار مباشرة وكذلك رفع الحصار... كما طالب حماس بوقف إطلاق الصواريخ³⁸. كما أوفد مستشاره للشؤون الخارجية أحمد داود أوغلو، للمشاركة في المفاوضات بين الوسيط المصري من ناحية وحركة حماس والدول العربية من ناحية أخرى.

أصبحت تركيا مسرحاً للعديد من النشاطات والفعاليات الإسلامية المساندة للشعب الفلسطيني، وتمّ التنديد بـ"إسرائيل التي تعاقب شعباً بأكمله"، ودعت تركيا دائماً إلى فكّ الحصار اللاإنساني عن غزة. وقد رأت أن الدفاع عن غزة ورفض حصارها، والدعوات إلى إدخال المساعدات إلى القطاع هو بمثابة تأييد غير مباشر لحركة حماس، التي تسيطر على هذا القطاع منذ 2007.

وشهدت علاقات حماس بتركيا تطوراً ملحوظاً خلال سنتي 2012-2013 وتعددت اللقاءات بين الطرفين. وأسهم في تطور العلاقة تقارب مواقف الطرفين إزاء الثورات والتغيرات في العالم العربي، واستمرار توتر العلاقات السياسية بين تركيا و"إسرائيل". فقد زار رئيس الحكومة في غزة إسماعيل هنية تركيا في مطلع سنة 2012، والتقى هنية خلال زيارته المسؤولين الأتراك وزعماء جميع الأحزاب التركية دون استثناء. وقد كان من اللافت للنظر تصريح أحمد داود أوغلو بأن زيارة هنية دليل على أن "طريق فلسطين تمر بتركيا"³⁹. غير أن جولة هنية الثانية في الفترة 2012/2/16-1/30 شملت قطر والكويت والبحرين وإيران والإمارات ومصر، وهو ما أعطى انطباعاً أن حماس ترغب في إظهار صورتها باعتبارها حركة مستقلة وغير مرتهنة لأحد.

وفي 2012/3/18 التقى خالد مشعل بالرئيس التركي عبد الله غول في إطار الزيارة التي بدأها مشعل لتركيا، حيث أطلعته على تطورات القضية الفلسطينية، وعلى أوضاع الشعب الفلسطيني، وما يتعرض له من ممارسات إسرائيلية عدوانية، وأوضاع مدينة القدس

³⁷ المرجع نفسه، ص 44.

³⁸ المرجع نفسه، ص 45.

³⁹ صحيفة زمان، تركيا، 2012/1/6.



والمسجد الأقصى والمقدسات وما تتعرض له من عمليات تهويد. وفي 2012/4/21، التقى مشعل بأحمد داود أوغلو في العاصمة القطرية "الدوحة"، وتطرق مشعل خلال اللقاء إلى الصراع العربي الإسرائيلي، وآخر المستجدات على الساحة الفلسطينية، وخاصة المصالحة الوطنية الفلسطينية.

وكان من أبرز الزيارات زيارة خالد مشعل وإسماعيل هنية، على رأس وفد من حماس إلى تركيا للقاء أردوغان في 2013/6/18؛ حيث تم استعراض القضايا الفلسطينية الرئيسية. وقد تعهدت الحكومة التركية بالعمل على وقف الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية، وبالوقوف في وجه محاولات تهويد القدس، وبالععمل على رفع الحصار عن غزة، وإنجاح المصالحة الفلسطينية. وأكد أردوغان على رغبته بزيارة غزة، وقال إنه قد يقوم بزيارة مفاجئة إلى قطاع غزة في أي وقت، وإن زيارته تأخرت بسبب الأحداث التي شهدتها بلاده (مظاهرات تقسيم).

كما نشطت الدبلوماسية التركية بشكل كبير دعماً لحماس ولقطاع غزة في وجه العدوان الإسرائيلي الذي شنته "إسرائيل" على القطاع في الفترة 2012/11/21-14، وضغطت في المحافل الإقليمية والدولية، خصوصاً بالتعاون مع مصر وقطر، لوقف العدوان ورفع الحصار. وشهد قطاع غزة نتيجة ذلك دعماً رسمياً وشعبياً واسعاً أربك الحسابات الإسرائيلية، وجعلها ترضخ في النهاية لشروط المقاومة في وقف عدوانها الذي سمته "عمود السحاب"، بينما أطلقت المقاومة في قطاع غزة على حربها مع العدو اسم "حجارة السجيل".

وصل أردوغان إلى مصر في 2012/11/17 عندما كانت الاشتباكات محتدمة، والتقى الرئيس المصري محمد مرسي، كما التقى أمير قطر وخالد مشعل، وجرى الاستماع لمطالب حماس وقوى المقاومة، وعلى رأسها وقف العدوان على قطاع غزة ورفع الحصار عنه، حيث تمّ تبنيها، ونشطت هذه الدبلوماسية إقليمياً ودولياً في دعمها. وقد اتهم أردوغان "إسرائيل" بارتباك تطهير عرقي عبر انتهاك القانون الدولي واحتلال الأراضي الفلسطينية؛ وأضاف إن "إسرائيل" ستحاسب يوماً ما على قتل الأطفال والشيوخ. واتهم أردوغان مجلس الأمن بعدم الفعالية، مشيراً إلى فقدان الثقة بالأمم المتحدة، لأنها لا تعاقب "إسرائيل" بالرغم من القرارات الصادرة بحقها⁴⁰.

⁴⁰ الحياة، 2012/11/21.

وقام أحمد داود أوغلو بزيارة غزة، في أثناء العدوان الإسرائيلي في 20/11/2012، بالاشتراك مع وفد وزراء الخارجية العرب، وصرح هناك بأن تركيا ستستمر في دعم الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع حتى انتهاء الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. وخطب الفلسطينيون في قطاع غزة بقوله "ليشهد الله علينا أننا لن نترككم، ألامكم ألامنا... وقدركم قدرنا... ومستقبلكم مستقبلنا"⁴¹. وشهدت زيارة أوغلو لغزة بعض المواقف المعبرة، عندما قام بتقبيل يد والدة الشهيد أحمد الجعبري نائب القائد العام لكتائب القسام⁴²، والذي فجر الاغتيال الإسرائيلي له حرب حجارة السجيل؛ كما لم يتمالك نفسه من البكاء في مستشفى الشفاء أمام ما رآه من شهداء وجرحى⁴³.

من جهة أخرى، تواصلت أشكال العلاقات والدعم التركي لقطاع غزة، فالتقى رئيس الوكالة التركية للتنمية الدولية Turkish Cooperation and Development Agency (TIKA) سيردار شام Serdar Çam رؤساء بلديات قطاع غزة في 28/3/2012، للوقوف عن كثب على حجم المعاناة القائمة بفعل الحصار الإسرائيلي، إلى جانب تفقده عدداً من المشاريع الاستراتيجية المهمة التي مولتها الحكومة التركية خلال الفترة السابقة. والتقى وزير الداخلية في حكومة هنية بغزة فتحي حماد نظيره التركي في تركيا خلال نيسان/ أبريل 2013. وزار وزير العدل عطا الله أبو السبح تركيا في بداية حزيران/ يونيو 2013، وبحث مع نظيره التركي سعد الله أريجین Sadullah Ergin سبل التعاون المشترك بين البلدين في القطاع القضائي، ودعم القضية الفلسطينية خصوصاً فيما يتعلق بالانتهاكات الإسرائيلية وسبل ملاحقة جرائم الاحتلال دولياً. واستقبلت الجهات الصحية بغزة وفداً طبياً من جمعية الأيادي البيضاء لنصرة ودعم فلسطين بتركيا، في نيسان/ أبريل 2012، في مهمة إنسانية، تتمثل في إجراء أكبر قدر ممكن من العمليات الجراحية ضمن التخصصات الطبية خلال أسبوع واحد. ووقعت وزارة الصحة في غزة مذكرة تفاهم مع الهلال الأحمر التركي في 1/7/2013، لتنفيذ مشروع استكمال تجهيز وتأثيث مستشفى شهداء الأقصى في دير البلح، بتمويل من برنامج مجلس التعاون الخليجي لإعادة إعمار غزة، وبإدارة البنك الإسلامي للتنمية.

⁴¹ القدس العربي، 2012/11/21.

⁴² الشرق الأوسط، 2012/11/21.

⁴³ السفير، 2012/11/21.



5. دعم المصالحة الفلسطينية:

كانت تركيا ترى أنه من غير الممكن التقدم في حلّ القضية الفلسطينية من دون المصالحة الفلسطينية⁴⁴. وكان من الطبيعي والمنطقي أن تنسجم الدعوات التركية لحماس لنبذ العنف والاعتراف بـ"إسرائيل" مع العمل من أجل المصالحة بين حماس والرئيس الفلسطيني، "لأن تركيا تعتقد أن حركة حماس يجب أن تشارك في العملية السياسية، وهذا مرتبط باستمرار وقف النار مع إسرائيل، ثم بالمصالحة مع الرئيس الفلسطيني، وتركيا تعمل على هذا الخط وهي على مسافة واحدة من عباس وحماس"⁴⁵. وعندما سيطرت حركة حماس على قطاع غزة في حزيران/يونيو 2007، عرض رجب طيب أردوغان على إسماعيل هنية، في 2007/7/23، استعداده للتحرك في ملف المصالحة الفلسطينية، قائلاً له: "نحن في تركيا جاهزون للتحرك من أجل رأب الصدع وإعادة الوحدة إلى صفوفكم... كما أن استمرار الخلاف يؤثر سلباً على إقامة الدولة الفلسطينية"⁴⁶.

لم يلقَ هذا الاستعداد التركي للمصالحة الاستجابة المتوقعة لأسباب عدة لها علاقة بالأطراف الفلسطينية، وتحديداً حماس وفتح، التي لم تكن مستعدة تماماً لمثل هذه المصالحة، وبالأطراف الإقليمية (خصوصاً مصر) التي ركّزت في البداية على إنهاء سيطرة حماس على قطاع غزة. كما أن مصر لم تكن تريد لتركيا أن تلعب هذا الدور على حساب علاقتها التاريخية والاستراتيجية مع غزة. وحتى السلطة الفلسطينية نفسها كانت تعتقد أن أيّ تفاوض لا يمكن أن يحصل مع حماس قبل أن تتراجع عن سيطرتها على قطاع غزة وإعادة القوى الأمنية التابعة للسلطة إليه، وهو الموقف الذي استمر حتى النصف الثاني من سنة 2008. وقد رفضت القاهرة اقتراحاً تركيا غير رسمي لعقد اجتماع يضم الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى، ومدير الاستخبارات المصرية عمر سليمان، ووزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو، وممثلين عن حركتي فتح وحماس في مصر أو في تركيا، من أجل الضغط على الطرفين الفلسطينيين لتوقيع اتفاق المصالحة الفلسطينية. وجاء الرد المصري على لسان وزير الخارجية أحمد أبو الغيط، الذي رأى أن الدور المصري

⁴⁴ محمد نور الدين، "مركزات السياسة التركية تجاه قضية فلسطين"، ص 28.

⁴⁵ قسم الأرشيف والمعلومات - مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، تركيا والقضية الفلسطينية، ص 42.

⁴⁶ المرجع نفسه، ص 43.

ينحصر في "إقناع حماس بقبول وثيقة المصالحة المصرية، وأنه لا مجال للعودة إلى فصول المفاوضات من جديد"⁴⁷.

أثار التفاعل التركي مع قضية غزة ومع مشروع المصالحة بين فتح وحماس، حساسية القيادة المصرية التي رأت في الاقتراب التركي من حماس تعزيزاً للنزعة الإسلامية التي يمثلها الإخوان المسلمون في مصر، وهو ما ترفضه السلطات المصرية، وتراه تدخلاً في شأن مصري حساس. وقد دفع هذا الأمر مصر إلى عدم تسهيل الوساطة التركية بين حماس وفتح، ولا سيّما بعد العدوان على غزة⁴⁸. لذا صرح المتحدث باسم الرئاسة المصرية سليمان عواد، أن الدور التركي في ملف المصالحة الفلسطينية يعد مكملاً للدور المصري ويسعى إلى دعمه، وأن الرئيس التركي عبد الله غول ووزير خارجيته أكدوا على هذا الأمر خلال محادثتهما مع الرئيس المصري حسني مبارك في 21/7/2010.

بقي ملف المصالحة الفلسطينية معلقاً. ولم تفلح تركيا في لعب دور مباشر في هذا الملف كما كانت تأمل. لكن التحولات التي حصلت في مصر بعد ثورة 25 يناير 2011، التي أطاحت بالرئيس حسني مبارك، دفعت بملف المصالحة قدماً. واستطاعت مصر أن تحقق هذا الإنجاز بشكل مفاجئ وهي ما تزال تعيش مرحلة الانتقال إلى نظامها الجديد. وهكذا، وقع الطرفان، فتح وحماس، اتفاق المصالحة برعاية مصرية مباشرة في 4/5/2011 مع تأييد عام لهذه المصالحة من تركيا وإيران وباقي الدول العربية والإسلامية.

6. أسطول الحرية وانعكاسات أزمة العلاقة مع "إسرائيل":

وصل التوتر في العلاقات التركية الإسرائيلية ذروة غير مسبوقة في تاريخ العلاقات بين البلدين، في الاعتداء الإسرائيلي الدموي على سفن أسطول الحرية Freedom Flotilla فجر 31/5/2010، وأدى إلى مقتل تسعة أترك مدنيين على متن سفينة مافي مرمرة. وقد شكل هذا الاعتداء الاحتكاك الدموي الأول بين تركيا و"إسرائيل" عبر تاريخهما؛ وكان لذلك ردة فعل تركية ساخطة جداً على "إسرائيل" فضلاً عن ردود الفعل العالمية. وتحركت تركيا ولا سيّما رئيس حكومتها رجب طيب أردوغان ووزير خارجيتها أحمد داود أوغلو، لمواجهة الصدمة الكبيرة التي تعرضت لها تركيا مطالبين "إسرائيل" بـ:

⁴⁷ المرجع نفسه.

⁴⁸ محمد نور الدين، "مركزات السياسة التركية تجاه قضية فلسطين"، ص 29.



- أ. إعادة السفن إلى تركيا.
 - ب. إطلاق سراح جميع الركاب المعتقلين من جميع الجنسيات.
 - ج. الاعتذار الرسمي.
 - د. التعويض على الضحايا.
 - هـ. المطالبة بلجنة تحقيق دولية.
 - و. كسر الحصار على غزة⁴⁹.
- ووصف أحمد داود أوغلو الهجوم على أسطول الحرية بأنه ”11 سبتمبر تركي“⁵⁰. أما أردوغان فقد أطلق خطاباً نارياً في البرلمان بعد ظهر الثلاثاء في 2010/6/1 ضدّ القرصنة الإسرائيلية قائلاً إن ”عداوة تركيا مثل صداقتها شديدة“، محذراً من أن العلاقات بين تركيا و”إسرائيل“ لن تعود إلى سابق عهدها، مطالباً بمعاينة ”إسرائيل“. وقال إن تركيا ليست مثل دول أخرى وليست دولة قبلية، ويجب ألا يحاول أحد اختبار صبر تركيا⁵¹.

شكلت حادثة أسطول الحرية منعطفاً في العلاقات التركية الإسرائيلية. ووصل الكلام المعادي لـ”إسرائيل“ إلى ذروته في ما نشر من كلام منسوب إلى أحمد داود أوغلو، يعدّ فيه ”إسرائيل“ دولة غير شرعية ومصيرها الزوال. ونقل إيلي برنشتاين Eli Bernstein، في تقرير لصحيفة معاريف من أنقرة، عن أحمد داود أوغلو قوله في بعض اللقاءات إن ”إسرائيل لا يمكنها البقاء لفترة طويلة دولة مستقلة، لذلك فإنه ستقام في كل المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط والأردن دولة ثنائية القومية يعيش فيها اليهود والفلسطينيون“⁵². وفي أثناء زيارته إلى لبنان يومي 24-25/11/2010 أطلق أردوغان مواقف قوية ضدّ ”إسرائيل“ بالقول إنه لن يسكت على أيّ عدوان إسرائيلي على غزة أو لبنان⁵³.

ونقل أحمد داود أوغلو في لقاء مع صحفيين فلسطينيين بأنقرة ”نحن كحكومة وشعب قلقون إزاء الوضع في فلسطين، فلسطين بالنسبة لنا ليست موضوعاً عادياً،

⁴⁹ الحياة، 2010/6/2.

⁵⁰ صحيفة ميّيت، تركيا، 2010/6/1.

⁵¹ صحيفة بني شفق، تركيا، 2010/6/2.

⁵² السفير، 2010/12/29.

⁵³ الشرق الأوسط، 2010/11/26.

إنها مهمة مقدسة على أكتافنا كمسلمين وممثلين لأمة تحاول الدفاع عن القدس لأكثر من أربعة قرون حتى قبل ذلك⁵⁴. أما الرئيس غول فأعلن "أن قضية القدس لا تخص الفلسطينيين وحدهم، وإنما تخص العرب والمسلمين جميعاً"⁵⁵. وأكد رجب طيب أردوغان أن "فلسطين هي قضيتنا، ولم تسقط في أي يوم من الأيام من جدول أعمالنا ولن تسقط"⁵⁶. ووصف القدس بأنها "قرة عين المسلمين"⁵⁷. وفي 2010/5/10 قال أردوغان إنه إذا احترقت القدس سيحترق العالم⁵⁸.

بالرغم من كل الجهود التي بذلت من أجل الوصول إلى تسوية مقبولة من الطرفين، استمرت "إسرائيل" في رفض المطالب التركية المتمثلة في تقديم اعتذار عن الحادثة ورفع الحصار عن غزة، فيما أبدت استعدادها لتقديم تعويضات لذوي الضحايا الأتراك التسعة الذين سقطوا في الهجوم الإسرائيلي.

أثار لجنة التحقيق، التي شكلها الأمين العام للأمم المتحدة، في حادثة أسطول الحرية الذي عُرف بتقرير بالمر Palmer Report، غضب الجانب التركي، وجاء في التقرير الذي أعدته أغلبية منحازة للجانب الإسرائيلي، أن "إسرائيل بالغت في تصديدها لأسطول الحرية"، لكنه لم يطلب من تل أبيب الاعتذار؛ لأنه وصف الحصار البحري الإسرائيلي المفروض على غزة بأنه "قانوني في نظر القانون الدولي"، غير أنه حثّ الدولة العبرية على التعويض المالي على ذوي الضحايا. وفي 2011/9/2، أي في اليوم التالي لنشر تقرير بالمر في النيويورك تايمز The New York Times⁵⁹، أعلن أحمد داود أوغلو بداية مرحلة جديدة من العلاقات مع "إسرائيل" من خلال اتخاذ أنقرة سلسلة من التدابير ضدّ تل أبيب على النحو التالي⁶⁰:

⁵⁴ صحيفة الوطن، أبها (السعودية)، 2010/3/3.

⁵⁵ صحيفة الراي (الرأي العام الكويتية سابقاً)، الكويت، 2010/3/4.

⁵⁶ الأيام، 2010/3/7.

⁵⁷ الشرق الأوسط، 2010/3/28.

⁵⁸ الخليج، 2010/5/11.

⁵⁹ The New York Times newspaper, 1/9/2011, http://www.nytimes.com/2011/09/02/world/middleeast/02flotilla.html?_r=3&smid=tw-nytimes&seid=auto

⁶⁰ Press Statement by H.E. Mr. Ahmet Davutoğlu, Minister of Foreign Affairs of the Republic of Turkey, regarding Turkish-Israeli relations, site of Ministry of Foreign Affairs, Republic of Turkey, 2/9/2011, http://www.mfa.gov.tr/press-statement-by-h_e_-mr_-ahmet-davutoglu_-minister-of-foreign-affairs-of-the-republic-of-turkey_-regarding-turkish-israeli-re.en.mfa



- أ. خفض العلاقات بين تركيا و"إسرائيل" من مستوى القائم بالأعمال (بعد سحب السفير منذ حادثة أسطول الحرية) إلى درجة السكرتير الثاني.
- ب. وقف (تجميد) العمل بكافة الاتفاقات العسكرية بين تركيا و"إسرائيل".
- ج. ستتخذ تركيا خطوات حول حرية حركة الملاحة البحرية في شرق البحر المتوسط.
- د. لن تعترف تركيا بعد اليوم بالحصار الإسرائيلي المفروض على غزة.
- هـ. ستدعم تركيا عائلات ضحايا أسطول الحرية، وستحاكم المسؤولين عن الجريمة في المحاكم التركية والأجنبية.

ورأى أحمد داود أوغلو أن "لا الحكومة الإسرائيلية التي أمرت بتنفيذ الهجوم على سفينة مرمرة، ولا الذين نفذوا الهجوم هم فوق القانون"، وأن "الوقت حان لتواجه إسرائيل التدايعات، وتدفع ثمناً عن تصرفاتها غير المشروعة، واعتبار نفسها فوق القانون الدولي"، جازماً بأنه "أن الأوان كي تدفع إسرائيل ثمناً لأفعالها اللا مشروعة. وهذا الثمن، بادئ ذي بدء، سيكون حرمانها من صداقة تركيا". ورأى أحمد داود أوغلو أن "إسرائيل فوّتت كل الفرص التي أتاحت لها لإصلاح العلاقات مع تركيا"⁶¹. وقد صعد أردوغان الموقف التركي بالإعلان عن وقف العمل "بشكل كامل" بكل العلاقات التجارية والعسكرية مع "إسرائيل" واتهمها بالتصرف مثل "ولد مدلل". وكان أحمد داود أوغلو واضحاً عندما أعلن في منتصف كانون الأول/ ديسمبر 2011 أن سياسة تركيا هي عزل "إسرائيل" وتركيعها في المنطقة⁶².

وقد رحبت حركة حماس بالإجراءات التركية، وعدّتها رداً طبيعياً على الجريمة الإسرائيلية ضدّ أسطول مرمرة، وعلى إصرار الاحتلال على رفض تحمل مسؤولياته عن الجريمة، ورفضه رفع الحصار عن غزة. كما أعلنت حماس إدانتها لتقرير بالمر الذي وصفته بأنه "غير منصف وغير متوازن"⁶³.

وأمام الإصرار التركي، وفي ضوء التغيرات التي تحدث في المنطقة، اضطرت "إسرائيل" للاعتذار لتركيا في 2013/3/22 عن الهجوم الذي شنته على سفينة مافي مرمرة التركية.

Ibid.⁶¹

ميليت، 2011/12/15.⁶²

الحياة، 2011/9/3.⁶³

وأعلن أردوغان قبوله اعتذار نظيره الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، الذي أكد له في مكالمة هاتفية قبول "إسرائيل" شروط تركيا الثلاثة لتطبيع العلاقات، وهي: اعتذار واضح، ودفع تعويضات لعائلات الضحايا، وتخفيف الحصار المفروض على قطاع غزة. وأضاف أردوغان أن بلاده تنتظر من "إسرائيل" إجراءات ملموسة وتتابع ما سيطبق في هذه المرحلة. أما نتنياهو فقال إن الأزمة في سورية، والمخاوف من لجوء الجماعات المسلحة التي لها روابط بتنظيم القاعدة لاستخدام الأسلحة الكيماوية، كان دافعاً رئيسياً لتقديم الاعتذار، ولتطبيع العلاقات الإسرائيلية التركية⁶⁴.

وحتى أواخر سنة 2013 كان الموقف التركي ما يزال غير راضٍ عن تنفيذ "إسرائيل" لالتزاماتها، فقد أوضح عبد الله غول في مقابلة مع صحيفة يديعوت أchronoth الإسرائيلية في 2013/10/6 أن الاعتذار الإسرائيلي عن أحداث مرمرة جاء متأخراً، وأنه ما زال غير ملبٍ لـ "جميع طلباتنا". وأشار غول إلى أنه عدا موضوع التعويضات التي طلبتها تركيا، فما زال هناك عائق آخر أمام العودة وتطبيع العلاقات وهو طلب تركيا إزالة حصار غزة، وما زالت "المفاوضات عالقة عند هذه النقطة حتى اليوم".

لكن على الرغم من ذلك كله، لم تنقطع العلاقات بين تركيا و"إسرائيل"؛ كما أن العلاقة مع حركة حماس كحركة مقاومة لم تتجاوز الحسابات التركية في التعامل مع أمريكا والغرب، والبقاء في حلف النيتو والسعي لدخول الاتحاد الأوروبي. وكان على سبيل المثال، قرار هيئة الإغاثة الإنسانية وحقوق الإنسان والحريات (The Foundation for Human Rights and Freedoms and Humanitarian Relief (IHH) التي يرأسها بولنت يلدرم Bulent Yildirim عدم مشاركة سفينة مرمرة التركية (أسطول الحرية)، ولا أي سفينة تركية أخرى، في أسطول الحرية، الذي كان مُنظموه يعدّون لحملة ثانية لكسر الحصار عن غزة لافتاً للنظر. وجاء قرار عدم المشاركة بعد ضغوط حكومية كبيرة على المنظمات التركية التي كانت ستشارك. حيث تجاوب أردوغان مع الرغبة الأمريكية بمنع سفينة مرمرة من المشاركة في أسطول الحرية 2.

وفي سياق تطور العلاقة التركية مع حماس، قام المسؤولون الأتراك بوساطة من أجل إطلاق الجندي الإسرائيلي الذي اختطفته حماس. وقد اتضح هذا الدور من خلال شكر

⁶⁴ الجزيرة.نت، 2013/3/23.



شمعون بيريز Shimon Peres تركيا على دورها في إتمام عملية التبادل التي كان لها إلى جانب فرنسا وألمانيا دور كبير في هذه العملية، كما ذكرت صحيفة ميليت التركية. وأكدت صحيفة حُرِّييت Hürriyet ذلك، بعدما تحدثت عن الدور التركي في تحرير شاليط، ذلك أن "إسرائيل" بعد فشل هجومها على غزة طلبت من تركيا التوسط،... كانت العلاقات بين الدولتين في أسوأ أحوالها، لكن أحمد داود أوغلو تحدث في القضية مع رجب طيب أردوغان، الذي كان حازماً في الرد بالموافقة على استئناف الوساطة التركية، لأن الموضوع "إنساني ولا علاقة له بعلاقاتنا مع إسرائيل، ويجب بذل كل ما بوسعنا... وقامت الاستخبارات التركية بالتواصل مع الموساد والاستخبارات المصرية، وأسفرت كل تلك اللقاءات عن تقدم كبير في هذا الملف"⁶⁵. وحتى استقبال تركيا لعدد من الأسرى المبعدين الذين أفرجت عنهم "إسرائيل" باتفاق التبادل، لا ينفصل بالنسبة إلى الأتراك عن "رغبتهم في سلام شامل في المنطقة، ولا عن مساعيهم لتسريع دفع حماس إلى الخيار الديموقراطي..."، هكذا يعرض مسؤول تركي رفيع وهو يتحدث إلى صحيفة ميليت التركية أسباب الموافقة على استقبال هؤلاء المبعدين بقوله:

هذا سيخلق مناخاً جديداً في الشرق الأوسط وسيخفف من حدة المواقف...
إننا سوف نرى بعد عملية التبادل مواقف أكثر هدوءاً على الجبهة الإسرائيلية -
ال فلسطينية، ما سيشكل دينامية جديدة لعملية السلام، ومن أجل ذلك دخلنا في
العملية... والسبب هو رغبة تركيا في إتمام المصالحة الفلسطينية، وهو ما سيريح
محمود عباس، ويقرب بين غزة والضفة الغربية.

7. العلاقات الاقتصادية بين تركيا و"إسرائيل":

من الملاحظ أن الحكومة التركية تحت قيادة حزب العدالة والتنمية قد سلكت سلوكاً برجماتياً فيما يتصل بعلاقاتها التجارية مع "إسرائيل". ولم تتأثر هذه العلاقات كثيراً بسبب توجهات تركيا إلى تحسين علاقاتها مع العالم العربي والإسلامي، ودعم قضية فلسطين، وتطوير علاقتها بحركة حماس؛ ولا حتى بسبب الأزمة السياسية الكبيرة الناشئة عن حادثة الهجوم الإسرائيلي على سفينة كسر الحصار التركية مافي مرمرة في 2010/5/31. وبشكل عام، فإن الحكومة التركية أدارت علاقاتها التجارية مع "إسرائيل" إلى درجة كبيرة بمعزل عن مواقفها وإجراءاتها السياسية. وقد يعزى جزء من حالة التناقض الظاهر بين توتر العلاقات السياسية وتحسن العلاقات التجارية

⁶⁵ محمد نور الدين، "أي دور لتركيا في عملية تبادل الأسرى"، السفير، 2011/10/15.

بين الطرفين، إلى وجود شبكات مصالح تدير علاقاتها بمنأى عن العلاقات السياسية، وإلى عدم تمكن حكومة حزب العدالة والتنمية من فرض نفوذها وسياساتها على هذه الشبكات في بيئة علمانية واقتصادية مفتوحة، وتحاول الانضباط بمعايير الاتحاد الأوروبي في بناء العلاقات التجارية؛ أو إلى أن بعض أشكال العلاقة تأخذ بعين الاعتبار حاجة الجيش التركي للمنتجات والتكنولوجيا العسكرية الإسرائيلية.

ووفق الإحصاءات الرسمية الإسرائيلية، فقد تضاعف حجم التبادل التجاري بين تركيا و"إسرائيل" من نحو 1,197 مليون دولار سنة 2002 إلى نحو 4,858 مليون دولار سنة 2013 بمعدل زيادة قدره 305.9%. وخلال الفترة 2002-2013 تضاعفت الواردات التركية من "إسرائيل" من نحو 383 مليون دولار إلى نحو 2,504 ملايين دولار، أي بزيادة مقدارها 553.5%، بينما تضاعفت الصادرات التركية لـ"إسرائيل" من نحو 814 مليون دولار إلى نحو 2,354 مليون دولار، أي بزيادة قدرها 189.3%. ولا تُظهر الإحصائيات تغييراً ذا بال في السنة التي وقع فيها الهجوم الإسرائيلي على سفينة كسر الحصار (2010) ولا في السنة التي تليها؛ غير أن هناك انخفاضاً في التبادل التجاري بنسبة 13% قد حدث سنة 2012، لكن هذا التبادل سرعان ما استرد عافيته سنة 2013، عندما زاد حجم التبادل التجاري بنسبة 38.6% عن سنة 2012، وبنسبة 20.6% مقارنة بسنة 2011.

جدول رقم (1): حجم التبادل التجاري بين تركيا و"إسرائيل" وفق الإحصاءات الإسرائيلية لسنوات مختارة (بالمليون دولار)⁶⁶

السنة	2000	2002	2006	2009	2010	2011	2012	2013
الصادرات الإسرائيلية	434.4	383.1	821.2	1,086	1,310.7	1,855.7	1,421.4	2,503.5
الواردات الإسرائيلية	586.5	813.7	1,272.7	1,387.7	1,800.1	2,171.1	2,082.7	2,354.1
التبادل التجاري	1,020.9	1,196.8	2,093.9	2,473.7	3,110.8	4,026.8	3,504.1	4,857.6

See Central Bureau of Statistics (CBS), http://www1.cbs.gov.il/shnaton55/st16_05x.pdf⁶⁶
http://www.cbs.gov.il/archive/201002/yarhon/h5_e.htm
www1.cbs.gov.il/publications13/yarhon0213/pdf/h8.pdf
<http://www1.cbs.gov.il/publications14/yarhon0214/pdf/h8.pdf>

أما الإحصاءات الرسمية التركية، فهي تعطي مؤشرات أكبر على التبادل التجاري، فقد تضاعف حجم التبادل التجاري بين تركيا و"إسرائيل" من نحو 1,406 ملايين دولار سنة 2002 إلى نحو 5,068 مليون دولار سنة 2013 بمعدل زيادة قدره 260.5%. وخلال الفترة 2002-2013 تضاعفت الواردات التركية من "إسرائيل" من نحو 545 مليون دولار إلى نحو 2,418 مليون دولار، أي بزيادة مقدارها 344.1%، بينما تضاعفت الصادرات التركية لـ"إسرائيل" من نحو 861 مليون دولار إلى نحو 2,650 مليون دولار، أي بزيادة قدرها 207.6%. ولا تُظهر الإحصائيات تغييراً ذا بال في السنة التي وقع فيها الهجوم الإسرائيلي على سفينة كسر الحصار (2010) ولا في السنة التي تليها؛ غير أن هناك انخفاضاً في التبادل التجاري بنسبة 9.12% قد حدث سنة 2012، لكن هذا التبادل سرعان ما استرد عافيته سنة 2013، عندما زاد حجم التبادل التجاري بنسبة 25.4% عن سنة 2012، وبنسبة 13.9% مقارنة بسنة 2011.

جدول رقم (2): حجم التبادل التجاري بين تركيا و"إسرائيل" وفق الإحصاءات

التركية لسنوات مختارة (بالمليون دولار)⁶⁷

السنة	2000	2002	2006	2009	2010	2011	2012	2013
الصادرات التركية	650.1	861.4	1,529.2	1,522.4	2,080.1	2,391.1	2,329.5	2,649.7
الواردات التركية	505.5	544.5	782.1	1,074.7	1,359.6	2,057.3	1,710.4	2,418
التبادل التجاري	1,155.6	1,405.9	2,311.3	2,597.1	3,439.7	4,448.4	4,039.9	5,067.7

ثالثاً: حماس وإيران:

تختلف علاقات حركة حماس مع إيران عن علاقاتها مع تركيا على مستوى تاريخ هذه العلاقة، ومستوى تطورها، والأهداف المشتركة بين الطرفين. إذ إن إيران لا تعدُّ نفسها في موقع المؤيد من الناحية الإنسانية فقط للشعب الفلسطيني، بل ترفض إيران وجود "إسرائيل" نفسه؛ وتعدّها كياناً غير شرعيّ ينبغي إزالته والقضاء عليه.

⁶⁷ See Foreign Trade by Countries, Turkish Statistical Institute (TurkStat), http://www.turkstat.gov.tr/PreTablo.do?alt_id=1046

وتعلن إيران صراحة أنها تؤيد حركات المقاومة في فلسطين، وتقوم علانية باستقبال قادة الأحزاب السياسية الفلسطينية، وقادة حركات المقاومة من الجهاد الإسلامي إلى حماس والفصائل الفلسطينية الأخرى. وقد عقدت إيران أكثر من مؤتمر دولي استضافت فيه مئات الشخصيات بعنوان دعم الانتفاضة أو تأييد المقاومة في فلسطين ضد الاحتلال الإسرائيلي، كان من بينها المؤتمر الذي عقد في 2-3/10/2011 وشاركت فيه مئات الشخصيات العربية والفلسطينية... وترى إيران أن وقوفها إلى جانب الشعب الفلسطيني وتأييد المقاومة، هو جزء من ثوابتها الدينية ومن شرعية ثورتها، ومن سياستها الخارجية في "دعم جميع المستضعفين في العالم". كما جاء في دستور الجمهورية الإسلامية في إيران في الفصل العاشر، تحت عنوان السياسة الخارجية المادة 154: "إن الجمهورية الإسلامية في إيران لن تتوانى عن دعم النضال المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين في كل بقعة من بقاع العالم، مع تمسك الجمهورية الإسلامية، في ذات الوقت، بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى بشكل كامل"⁶⁸.

منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران سنة 1979، أعلنت الجمهورية الجديدة انحيازاً واضحاً إلى القضية الفلسطينية. وبادرت القيادة الدينية الجديدة إلى إغلاق السفارة الإسرائيلية في العاصمة طهران واستبدالها بـ "سفارة فلسطين".

لم تتجاوز علاقات حماس مع إيران أهداف الحركة و"اهتمامها بالاتصال بالدائرة الإسلامية في بعديها الرسمي والشعبي وإقامة علاقات مباشرة معها"⁶⁹. لكن علاقة حماس مع إيران تبدو في الوقت نفسه العلاقة الأبرز من بين باقي علاقاتها مع الدول الإسلامية، والأكثر حساسية وجدلاً؛ نظراً لعلاقات إيران غير المستقرة والمتوترة في كثير من الأحيان مع دول عربية عدة، مثل المملكة السعودية أو دول الخليج الأخرى، والتي تحرص حركة حماس على استمرار العلاقات الودية معها. ومن الملاحظ أن حماس تُتهم بالتبعية لإيران، وليس لأي دولة إسلامية أو عربية أخرى.

1. تطورات علاقة حماس بإيران:

شغلت الحرب العراقية الإيرانية النظام الإسلامي الجديد في طهران. وباتت الحرب طوال سنوات أولوية على ما عداها من قضايا في منطقة الشرق الأوسط، بما في ذلك

⁶⁸ دستور الجمهورية الإسلامية في إيران (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2010)، ص 86.

⁶⁹ خالد الحروب، حماس: الفكر والممارسة السياسية، ص 196.



القضية الفلسطينية. لكن اندلاع الانتفاضة في 1987، قبل عام واحد من توقف تلك الحرب في 1988، يُعدُّ بداية علاقات جديدة إيرانية فلسطينية، خصوصاً مع حركة حماس التي ستصبح من أبرز القوى الفلسطينية مع مطلع التسعينيات. وهذه هي مرحلة تنامي العلاقات الإيرانية مع حركة حماس التي ستتطور في السنوات اللاحقة على قاعدة رفض إيران لعملية التسوية السياسية للقضية الفلسطينية، ورفضها استراتيجية التفاوض مع "إسرائيل" لحل هذه القضية، وهو الهدف نفسه الذي كانت حركة حماس تؤيده وتعمل من أجله. ولذلك عندما انعقد "المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط"، في مطلع شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1991 برعاية أمريكية مباشرة، بعد "تحرير الكويت من احتلال العراق"، وشاركت فيه الدول العربية كلها وممثلي منظمة التحرير الفلسطينية؛ بادرت طهران إلى استباق ذلك الموعد بأكثر من مؤتمر لدعم "ثورة الشعب الفلسطيني"، في 1991/10/22، وقبل أيام قليلة على انعقاد مؤتمر مدريد، في إشارة واضحة إلى الموقف الإيراني الرفض لعملية التسوية ولأي تفاوض مع "إسرائيل". وضمَّ مؤتمر دعم المقاومة في إيران الفصائل الفلسطينية الراضة لعملية التسوية، وشخصيات وقوى وأحزاب فلسطينية وعربية، تؤيد المقاومة، وتعلن رفضها مؤتمر مدريد.

يُعدُّ اعتماد ممثل لحركة حماس في إيران في تشرين الأول/ أكتوبر سنة 1990 بداية العلاقة الرسمية بين الطرفين. تبع ذلك افتتاح مكتب رسمي للحركة في العاصمة الإيرانية في شباط/ فبراير 1992، أي بعد شهرين من انعقاد مؤتمر القوى الفلسطينية المعارضة للتسوية ول مؤتمر مدريد في طهران. وكان ذلك إشارة إيرانية إلى الاعتراف بدور حماس المركزي في المعارضة الفلسطينية⁷⁰.

انسجماً مع قاعدة التوازن في علاقاتها مع الأطراف العربية والإسلامية، ترى حماس إيران، نقلاً عن ممثل حماس في طهران، "حليفاً استراتيجياً... لأن الالتقاء في الرؤية الاستراتيجية ببعدها الإسلامي هو الذي يجعل من إيران حليفاً استراتيجياً"⁷¹. ولأن العلاقة التي تقيمها حماس مع إيران واضحة ومعلنة، وقائمة على حشد أكبر قدر ممكن من التأييد والدعم للقضية الفلسطينية باعتبار أنها قضية إسلامية، فقد أوضحت الحركة لإيران "أن العلاقة قائمة على الاحترام المتبادل، والتضامن في الموقف والرأي

⁷⁰ المرجع نفسه، ص 198.

⁷¹ المرجع نفسه، ص 199-200.

السياسي والاستراتيجي تجاه التسوية، من دون أيّ إملاءات⁷²؛ ومن دون أن تعني هذه "العلاقة الاستراتيجية" مع طهران أيّ إخلال بتوازن علاقات حماس مع الأطراف العربية، التي لم تكن كلها على علاقة جيدة مع طهران؛ لأن الإخلال بهذا التوازن سيجعل الحركة تدفع ثمناً باهظاً في علاقاتها العربية، وخصوصاً الخليجية. وهو ثمن سياسي في الدرجة الأولى، وثمان شعبي في الدرجة الثانية، بسبب الحساسية الطائفية التي لا يمكن تجاهلها في منطقة الخليج إزاء إيران. ومع ذلك لم تبتعد حماس عن إيران، بل اقتربت منها بدرجة كافية، إذ لم يكن من المعقول ألا تقدّر حماس للدولة الإيرانية موقفها الأشد صلابة ومعارضة للتسوية السلمية⁷³، التي تعارضها حماس أيضاً.

ويؤكد رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل بعد سنوات من العلاقة بين حركته وبين إيران على استقلالية القرار الفلسطيني، فيرى أن "قرار حماس نابع من الواقع الفلسطيني وليس تابعاً لأحد، وهذه حقيقة معروفة للجميع بشهادة الواقع والممارسة". ويضيف مشعل: "ولكن حماس — باعتبارها جزءاً أصيلاً من أمتها — تراعي في موقفها مجمل الأوضاع العربية والإسلامية بعيداً عن التبعية والإلحاق من ناحية، وعن الصراع والتوتر من ناحية أخرى". ويرى مشعل "أن حماس نجحت في تكريس معادلة متوازنة في علاقاتها العربية والإسلامية؛ وفي جعل قضية فلسطين ومواجهة المشروع الصهيوني عامل اجتماع وتوحيد للأمة". وفي إجابة له عن سؤال آخر، يرفض مشعل اعتبار برنامج حركته جزءاً من برنامج سورية أو إيران. ويقول: "علاقتنا الجيدة مع سورية وإيران لا تعني أننا جزء من برنامجهما. ولكن هذه العلاقة هي جزء من تعزيز العمق العربي والإسلامي للقضية الفلسطينية".

ويرفض مشعل تنفيذ أيّ سيناريو سوري أو إيراني لإحباط السلام أو لإسقاط حكومة شمعون بيريز، قائلاً: "حماس لن تسير أبداً في مثل هذا المسار ولا تقبل لنفسها مثل هذا الافتراض. وتنطلق في مواقفها من اعتبارات فلسطينية محضة، وتنبع سياساتها من مصالح شعبنا وحقوقه"... وينفي مشعل فرضية "الثنم" مقابل "الملاذ الآمن": "لأننا لو فعلنا ذلك، لكانت مواقفنا غير التي تراها. وجودنا في هذا البلد العربي أو ذاك هو

⁷² المرجع نفسه، ص 200.

⁷³ المرجع نفسه.



جزء من حقنا على أمتنا، كما أنه يمثل جزءاً من حال الشتات الفلسطيني⁷⁴. وحتى بعد اتفاق مكة بين حماس وبين السلطة الفلسطينية برعاية سعودية، يعود مشعل إلى التأكيد على هذه الاستقلالية بقوله: "إن علاقتنا بالسعودية ليست على حساب إيران، كما أن علاقتنا مع سورية ليست على حساب مصر"⁷⁵. ويكرر مشعل هذا الأمر مجدداً مع تعثر المصالحة بين حماس والسلطة الفلسطينية برعاية مصرية، "بسبب سيف الشروط والتهديد أو المحاكمات كما يقول رئيس الحكومة إسماعيل هنية؛ فيؤكد مشعل رداً على سؤال حول محاباة حماس السياسة الإيرانية في المنطقة في مقابل ما تقدمه طهران من دعم سياسي ومالي للحركة: "إن حماس برغم علاقتها الوثيقة بإيران، ليست في جيب إيران كما أنها ليست في جيب سورية. علاقتنا قائمة مع الجميع على قاعدة الاحترام المتبادل، ونحن حريصون على توازنها وعلى المصالح العربية..."، موضحاً: "نحن طرقتنا ونطرق باب جميع أشقائنا من باب حاجتنا إلى عمقنا العربي... ولكن ماذا نفعل إذا لم يستجب لنا البعض... والحب لا يكون من طرف واحد"⁷⁶.

أسهمت المواقف الإيرانية المختلفة المؤيدة لحماس والداعمة لها، إسهاماً مباشراً في تعزيز التقارب بين الطرفين⁷⁷. وقد عملت إيران على منع تطويق حماس، بعد فوزها في الانتخابات التشريعية، خصوصاً وأن الطرف المقابل لحماس (السلطة الفلسطينية) كان يحظى بدعم واسع عربي ودولي، في حين تعرضت حماس من هذين المستويين العربي والدولي إلى حصار قاس مالي وسياسي، بعد فوزها في تلك الانتخابات التشريعية سنة 2006، وبعد سيطرتها على قطاع غزة سنة 2007. وقد اتهمت إيران بتشجيع حماس على هذا الانقلاب، كما قال وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط⁷⁸.

وعلى المستوى الإسرائيلي والدولي (وحتى العربي في جانب منه) كانت حماس عرضة للاستهداف الدائم، ولمحاولات التضيق أو القضاء عليها، لذا كانت بحاجة للدعم الإيراني على المستويات كافة. وعلى سبيل المثال، ففي أواخر سنة 2006 أعلن

⁷⁴ مقابلة مع خالد مشعل، الحياة، 2003/12/9.

⁷⁵ الرأي العام، الكويت، 2007/2/25.

⁷⁶ السفير، 2008/9/27.

⁷⁷ L'Iran et le Hamas: des relations solides qui se renforcent, site of JSSNews, 27/1/2010, <http://jssnews.com/2010/01/27/liran-et-le-hamas-des-relations-solides-qui-se-renforcent>

⁷⁸ الحياة، 2007/6/21.

مجلس الوزراء الفلسطيني أن زيارة إسماعيل هنية إلى الجمهورية الإيرانية أثمرت عن 250 مليون دولار مساعدات للشعب الفلسطيني⁷⁹.

تعرضت حماس في قضية المصالحة مع فتح والسلطة الفلسطينية إلى ضغوط عربية قوية، ولم تجد خلفها من يؤيدها إلا إيران وسورية، وتعاطفت معها أو تفهمت موقفها بدرجات متفاوتة كل من قطر واليمن والسودان. واستمر ذلك إلى أن تغير الوضع المصري بعد "الثورة"، وتحققت المصالحة من دون أي ضغوط أو أي شروط مصرية كانت تفرض على حماس في ظل نظام مبارك السابق.

أثارت علاقة حماس مع إيران هواجس فلسطينية وعربية تعود في جوهرها إلى خلاف بعض الأطراف الفلسطينية والعربية مع حماس ومع إيران حول المواقف من عملية التسوية. لكن حماس بالمقابل كانت تؤكد دوماً على الاستقلالية تجاه إيران. لذا يتساءل على سبيل المثال الناطق باسم حماس في غزة سامي أبو زهري: "لماذا التركيز فقط على علاقتنا الجيدة مع سورية وإيران؟ لدينا علاقات مع كل من قطر ومصر واليمن وسورية وإيران. هل لأن باقي الدول لديها علاقات جيدة مع الولايات المتحدة؟... المهم بالنسبة لنا هو الدفاع عن الشعب الفلسطيني"⁸⁰. أما موسى أبو مرزوق فيميز، بعد تأكيده على علاقات حماس الجيدة مع الجميع، بين مواقف الدول من المقاومة: "وعندما تكون دولة أكثر إيجابية تجاهنا فهذا لا يعني أننا نفضلها..."⁸¹.

⁷⁹ موقع العرب اليوم، 2006/12/12. وحسب المصدر نفسه، فقد جاء في تفصيلات مبلغ الـ 250 مليون دولار ما يلي: إيران قدمت دعماً مالياً بهدف كسر الحصار بمبلغ مالي يقدر بـ 100 مليون دولار لسنة 2007 دعماً للشعب الفلسطيني، وتبنت رواتب الموظفين لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل والأسرى لمدة ستة أشهر قادمة، ودفع مستحقات الأسرى وذويهم لمدة ستة أشهر قادمة، حيث يصل المبلغ الإجمالي للوزارات الثلاثة وللأسرى إلى 45 مليون دولار. وأضاف مجلس الوزراء الفلسطيني أن المساعدات شملت تقديم مساعدة للعمال الفلسطينيين العاطلين عن العمل وعددهم 100 ألف عامل بواقع 100 دولار لكل عامل شهرياً ولمدة ستة أشهر، بمبلغ يصل إلى 60 مليون دولار، وتقديم مساعدة عاجلة للصيادين في قطاع غزة وعددهم ثلاثة آلاف صياد بواقع 100 دولار لكل منهم ولمدة ستة أشهر بمبلغ يصل إلى 1.8 مليون دولار. وقال بيان المجلس إن المساعدة الإيرانية تشمل تغطية تكاليف إنشاء القصر الثقافي ومكتبات وطنية بمبلغ يصل إلى 15 مليون دولار، وترميم البيوت المدمرة وعددها ألفاً منزل، بواقع 10 آلاف دولار لكل منزل بمبلغ يصل إلى 20 مليون دولار. وتغطية الفارق في شراء زيت الزيتون الفلسطيني بمبلغ 5 ملايين دولار، ودفع قيمة ثمن 300 سيارة للحكومة الفلسطينية وقدرها 3 ملايين دولار. ويكون بذلك قيمة المساعدات المقدمة من الجمهورية الإسلامية الإيرانية والذي أثمرت عن هذه الزيارة مبلغ 250 مليون دولار.

⁸⁰ Financial Times newspaper, 1/2/2006.

⁸¹ Ibid.



إذا كانت حركة حماس تنفي تبعيتها لأي من الدول التي تدعمها، حرصاً على توازن علاقاتها العربية والإسلامية، ولحشد التأييد والدفاع عن الشعب الفلسطيني، فإن القادة الإيرانيين بالمقابل لا يخفون علاقتهم بحماس، ويؤكدون في المناسبات كافة وقوفهم إلى جانب هذه الحركة تحديداً، وإلى جانب القضية الفلسطينية وخيار المقاومة ضدّ الاحتلال الإسرائيلي عموماً. لذا ينفى رئيس مجلس الشورى الاتهامات الأمريكية والغربية بدعم حزب الله بصورة سرية، ويقول: "إننا نفتخر بدعم حزب الله وحركة حماس أيضاً، وعلى أمريكا أن ترد على هذا السؤال: لماذا تظلم حماس وحزب الله؟"⁸².

ويكرر القادة الإيرانيون مواقف الدعم والتأييد لحماس كحركة مقاومة ضدّ الاحتلال. وفي أثناء الحصار على قطاع غزة، دعا مرشد الثورة السيد علي خامنئي Ali Khamenei البلدان الإسلامية لكسر هذا الحصار، وقال "إن المقاومة هي الخيار الوحيد لإنقاذ الشعب الفلسطيني"، داعياً الفلسطينيين لحفظ وحدتهم والتفافهم حول حكومتهم المنتخبة، أي حكومة حماس⁸³. ورأى أمين عام المجلس الأعلى للأمن القومي سعيد جليلي Saeed Jalili، خلال استقباله في طهران خالد مشعل، "أن المقاومة والصمود الشامل والواعي للشعب الفلسطيني جدير بالاحترام، وأن سرّ نجاح حماس يتمثل في صيانتها بجد لحقوق الشعب الفلسطيني". كما قال المرشد الأعلى في المناسبة نفسها إن الكيان الصهيوني بات عاجزاً عن مواجهة الشعب الفلسطيني، داعياً إلى مواصلة المقاومة... ووصف خامنئي المواقف التي تتخذها قيادة حماس ورئيس الوزراء إسماعيل هنية بأنها شجاعة، وتبعث على الأمل والفرح والسرور. وندد بالحصار اللاإنساني المفروض على غزة وعمليات القتل التي يتعرض لها الأطفال يومياً. ثم أعلن المرشد في تصريح لافت، الدعم المباشر لحماس ووقوف إيران إلى جانبها في غزة. وهو بمثابة ردّ على القوى الأخرى العربية وغير العربية التي تحاصر حماس، وتريد تقويض حكمها في القطاع. فقال في خطبة صلاة عيد الفطر في 2008/10/2، بعد تأكده أن الصهاينة في طريقهم إلى الانهيار والضعف: "إن إيران ستقف إلى جانب حكومة حماس في غزة"، واصفاً إسماعيل هنية بالمجاهد؛ داعياً إلى تضافر الجهود والمزيد من التضامن

⁸² المستقبل، 2011/1/5.

⁸³ الخليج، 2008/2/9.

لنصرة الشعب الفلسطيني⁸⁴. وكان خامنئي قد دعا، خلال لقائه خالد مشعل في طهران، إلى ”وضع خطة تمكن جميع المسلمين من تقديم مساعدة مالية سنوية للفلسطينيين“.

وقال الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي في إيران، علي لاريجاني Ali Larijani، في ختام لقائه مشعل، أن ”حماس حركة شعبية وأصيلة، سعت على الدوام لضمان حقوق الشعب الفلسطيني المظلوم“؛ مضيفاً أن إيران ستساعد حكومة حماس مالياً حتى يمكنها مواجهة قمع الولايات المتحدة حيال هذا البلد. وتابع لاريجاني ”نتمنى أن تتغلب الحكومة الفلسطينية الجديدة على مشكلاتها الحالية بمساعدة الدول الإسلامية بما فيها إيران“⁸⁵.

وقد كرر الموقف نفسه، وبوضوح لافت، الرئيس محمود أحمددي نجاد Mahmud Ahmadinejad بقوله إن بلاده ستستمر في دعم حركة المقاومة الإسلامية حماس ”حتى تنهار إسرائيل“؛ وأن إيران ”تعتبر دعمها للفلسطينيين واجباً قومياً ودينياً، وستقف إلى جانب الفلسطينيين حتى عيد النصر الأكبر وهو انهيار النظام الصهيوني“. ولفتت صحيفة معاريف النظر إلى أن الجمهورية الإيرانية ”قدمت، قبل سيطرة حماس على القطاع، مساعدات هامة لحماس بالمال والسلاح، وأرسلت الخبراء العسكريين وكذلك عناصر من حزب الله إلى داخل غزة“. وأضافت إن ”أهم بند في المساعدة الإيرانية هو التدريبات التي خضع لها المئات من عناصر حماس على الأراضي الإيرانية، الذين عاد بعضهم إلى القطاع بعد انتهاء التدريبات“. وأقر علي لاريجاني بدعم بلاده لحماس، نافياً في الوقت نفسه تقديم أسلحة إليها⁸⁶.

أكدت إيران على استقلالية حماس، ونفت تبعيتها لها. وقال المتحدث باسم الخارجية الإيرانية محمد علي حسيني Mohammed Ali Hosseini، رداً على تصريحات الملك عبد الله الثاني التي قال فيها إن قادة حماس رهن إشارة إيران: ”إن قرارات حماس ليست خاضعة لأوامر أي دولة، ومن المؤسف أن بعض الدول العربية في المنطقة تتأثر أحياناً بسياسات أميركا وإسرائيل وتغض الطرف عن مصالح الشعب الفلسطيني،

⁸⁴ الشرق الأوسط، 2008/10/2.

⁸⁵ السفير، 2006/2/23.

⁸⁶ الأخبار، 2007/6/23.

ويعتبر هذا النوع من التوجه نوعاً من سياسة إلقاء اللوم على الآخرين ولا يتطابق مع الحقائق على الساحة الفلسطينية⁸⁷.

ويلخص موقع أون إسلام في 2007/12/26 الأسباب المنطقية التي تجعل الأخذ بفرضية تبعية حماس لإيران فرضية صعبة وغير منطقية. ومن أبرز تلك الأسباب⁸⁸:
أولاً: تربط حماس علاقات وثيقة بمختلف الدول العربية وهو ارتباط مخالف تقريباً لعموم السياسة الخارجية الإيرانية؛ كما هو الحال في علاقتها مع مصر ودول الخليج واليمن والعراق.

ثانياً: يتبنى إعلام حركة حماس (قناة الأقصى الفضائية والمركز الفلسطيني للإعلام وغيرها الكثير) سياسة مغايرة تماماً عن سياسات وتوصيفات وتحليلات الإعلام الإيراني فيما يخص الشأن العراقي والأفغاني، وعمليات المقاومة فيهما بصورة تعزز الاختلاف الكبير بينهما بهذا الصدد.

ثالثاً: لم يحفل إعلان تأسيس حماس سنة 1987 بالإشارة لا من قريب أو من بعيد بالجمهورية الإيرانية، بل إن رموزها الكبار من الشهداء أمثال الشيخ ياسين، والرنديسي، وأبو شنب، والمقادمة، وصلاح شحادة ممن أسسوا الحركة في الداخل لم يقابلوا أياً من المسؤولين الإيرانيين في حياتهم حتى يشار عند استعراض محطات النشأة عن وجود جذور وخيوط تشاركية في التأسيس.

رابعاً: حركة حماس تعدُّ فرعاً أصيلاً من جماعة الإخوان المسلمين السنية، وهي الحركة الموجودة تاريخياً قبل قيام الثورة الإيرانية سنة 1989 بأكثر من نصف قرن تقريباً. وفي خارج فلسطين شكلت دول مثل الكويت، والإمارات، والأردن محاضن الولادة والنشأة والتربية الدعوية لقيادات المكتب السياسي الحاليين... ولم يتأثر أيٌّ منهم في نشأته أو علاقاته بإيران.

لم تتبدل استراتيجية إيران في دعم حماس وفي التأكيد على خيار المقاومة في مختلف الأحداث أو المواجهات التي تعرضت لها حماس. فبعد الحرب على غزة على سبيل

⁸⁷ الوطن، أ.بها، 2008/2/13.

⁸⁸ جهاد السعدي، "حماس وإيران.. وجوه الاختلاف ودوافع الارتباط"، أون إسلام، 2007/12/26، انظر: <http://www.onislam.net/arabic/islamyoon/observatory/103399-2007-12-26%2015-53-39.html>

المثال، أعلنت إيران بلسان وزير خارجيتها منوشهر متكي Manouchehr Mottaki: "إن اجتياح إسرائيل قطاع غزة خطأ استراتيجي، وإن إسرائيل لا يمكن أن تقضي على حركة حماس أبداً"⁸⁹. وبعد توقف الحرب، وفي مواجهة المشاريع الدولية التي كانت تدعو إلى تنفيذ الحصار على القطاع، لمنع حماس من العودة إلى التزود بالسلاح، دافعت إيران عن "الحق الطبيعي للذين يكافحون الاستعماريين بالحصول على السلاح"⁹⁰. كما عقدت طهران مؤتمراً دولياً "لدعم قطاع غزة"، كرر فيه مرشد الثورة علي خامنئي موقف إيران الذي يرى أن "الصمود والمقاومة هما السبيل الوحيد لإنقاذ فلسطين"، ورأى خامنئي أن ملحمة مقاومة حركة حماس هي "أكبر نقطة مشرفة خلال السنوات المئة الأخيرة من تاريخ فلسطين"⁹¹.

رأت إيران أن علاقتها بحماس، ومع باقي القوى والأطراف الإسلامية هي بمثابة مرحلة جديدة أطلقت عليها "الشرق الأوسط الإسلامي". وقد انتقد مرشد الثورة السيد علي خامنئي حكومات عربية لم يسمها بخذلان الفلسطينيين، والادعاء بـ "عروبة" القضية الفلسطينية "فيما هي لم تقدم شيئاً لمساندة الفلسطينيين، خلال الحرب الإسرائيلية على غزة"⁹².

كانت "إسرائيل" على مستوى آخر توجه الاتهام إلى إيران بتهديب السلاح إلى غزة، وبتزويد حماس بصواريخ قادرة على ضرب أهداف استراتيجية. وربطت "إسرائيل" علاقة حماس بإيران بالبرنامج النووي الإيراني، ورأت أن إيران قد تلجأ إلى حماس لإطلاق الصواريخ لحماية برنامجها النووي. فقد نقلت إذاعة الجيش الإسرائيلي عن مصادر عسكرية إسرائيلية قولها إن إيران زودت الفصائل الفلسطينية في قطاع غزة بصواريخ ذات مدى كبير قادرة على ضرب أهداف استراتيجية في داخل "إسرائيل"، والوصول حتى مدينة تل أبيب وضواحيها. وأشارت المصادر إلى أن الصواريخ الإيرانية من طراز "فجر" و"الفتاح 100" يصل مداها إلى 300 كم، وصلت إلى الأطراف الحليفة لإيران في المنطقة، وهي قادرة على حمل رؤوس متفجرة وزنها 500 كغ... وحذرت

⁸⁹ الخليج، 2009/1/18.

⁹⁰ السفير، 2009/1/22.

⁹¹ Arab News newspaper, 5/3/2009, <http://www.arabnews.com/node/51199>

⁹² لقاء مع خامنئي قبل افتتاح أعمال المؤتمر الدولي الخامس لدعم الانتفاضة الفلسطينية، 2011/10/3.



المصادر العسكرية من إمكانية قيام حزب الله بهجوم وقائي تصاحبه هجمات مكثفة من قطاع غزة، وزعمت أن السبب الرئيسي لأي حرب قادمة تشارك فيها سورية وحزب الله وقطاع غزة سيكون محاولة أطراف الحلف الإيراني الرد على أي هجمات متوقعة على المنشآت النووية الإيرانية⁹³.

وفي سياق التحريض نفسه على الصلة بين حماس وإيران، أفادت صحيفة هآرتس Haaretz الإسرائيلية أن حركة المقاومة الإسلامية حماس نجحت في تهريب قذائف مضادة للطائرات إلى قطاع غزة، وأن إيران وسورية تقفان وراء إمداد المنظمات في القطاع بهذه الأسلحة. وذكرت الصحيفة أن التقديرات في "إسرائيل"، هي أن القذائف المضادة للطائرات من طراز أس آي-7 أو SA-7 المعروفة باسم "ستريلا" Strela، باتت موجودة في أيدي حماس وحركة الجهاد الإسلامي في القطاع، وأشارت إلى أن هذا النوع من القذائف ليس متطوراً، لكن تسليح الفصائل الفلسطينية بمئات منه من شأنه أن يؤثر على تحليق الطائرات الحربية الإسرائيلية في أجواء القطاع، وقالت إنه في حال تدهور الوضع الأمني في قطاع غزة، فإن الفصائل الفلسطينية قد تطلق هذه القذائف في اتجاه الطائرات الحربية الإسرائيلية.

ولاحظت هآرتس أن خبراء من إيران وسورية وصلوا إلى قطاع غزة، وقاموا بتحسين القدرة العسكرية والقتالية المتنوعة لدى حماس والجهاد الإسلامي وفصائل فلسطينية أخرى، وذلك كجزء من عملية شاملة لإعادة بناء قوة الفصائل التي تمّ تدميرها في العدوان الأخير على القطاع، وأشارت إلى أنه بالإضافة إلى ذلك، توجه عشرات من عناصر هذه الفصائل لتلقي تدريبات في كل من لبنان وسورية وإيران على تشغيل وسائل قتالية متطورة، ثم عاد هؤلاء العناصر إلى القطاع مزودين بالخبرة القتالية، وقاموا بدورهم بتدريب عناصر أخرى في المجالات نفسها. وبحسب تقديرات الجيش الإسرائيلي الاستخباراتية ما زالت عملية تعاظم قوة حماس على أشدها⁹⁴.

شجعت إيران المصالحة بين حماس وفتح. ولم تعترض على الدور المصري في هذه المصالحة لا قبل سقوط النظام المصري ولا بعده، عندما تحققت تلك المصالحة. فقد أكد وزير الخارجية منوشهر متكي في صيف 2009 "دعم بلاده وحدة الفصائل

⁹³ الشرق الأوسط، 20/4/2010.

⁹⁴ السفير، نقلاً عن هآرتس، 13/12/2010.

الفلسطينية⁹⁵. وكرر رئيس مجلس الشورى علي لاريجاني الموقف نفسه في 2009/12/20، معلناً تأييد جهود مصر لتحقيق هذه المصالحة⁹⁶. وعندما أعلن عن تحقق هذه المصالحة بعد سقوط الرئيس مبارك، أعادت إيران التأكيد على دعم هذه المصالحة. ففي اليوم التالي لتوقيع هذا الاتفاق، رآه وزير الخارجية الإيراني، علي أكبر صالحى؛ Ali Akbar Salehi، خطوة إيجابية نحو تحقيق الأهداف التاريخية للشعب الفلسطيني؛ وأعرب عن أمله أن يضع الاتفاق "أساس انتصارات كبرى ضد المحتل الإسرائيلي". وأشاد صالحى بالوساطة المصرية التي قادت إلى التوصل إلى الاتفاق⁹⁷.

أيدت إيران عملية تبادل الأسرى التي تمت بين حماس و"إسرائيل" في تشرين الأول/أكتوبر 2011. وهنأت الشعب الفلسطيني على هذا الانتصار. وأجرى إسماعيل هنية اتصالاً هاتفياً بالرئيس الإيراني، محمود أحمدى نجاد، وشرح له تفاصيل صفقة تبادل الأسرى بين حماس والكيان الإسرائيلي. ورأى الرئيس أحمدى نجاد وإسماعيل هنية "الصبر والصمود بأنهما العنصران الأساسيان لذلة الكيان الصهيوني والمستكبرين، وانتصار الشعب الفلسطيني وسائر الشعوب الحرة والداعية للعدالة بالعالم". وقال أحمدى نجاد "إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تقف دوماً إلى جانب الشعب الفلسطيني المظلوم والمقاومة، وستدافع عن قضايا هذا الشعب الحر والأبى... ولا شك أن هذا الموضوع يشكل إنجازاً كبيراً للشعب الفلسطيني وكافة المسلمين ومحبي العدالة والحرية بالعالم، وأن الشعوب المستقلة مسرورة بهذا الإنجاز...". وأما إسماعيل هنية فقال إن إيران كانت وما زالت تدعم الشعب الفلسطيني وتقف إلى جانبه، وإنها شريكة في انتصاراته⁹⁸. وقال الناطق باسم وزارة الخارجية الإيرانية، رامين مهمانبرست Ramin Mehmanparast، إنه يهنئ الشعب الفلسطيني على إطلاق سراح الفلسطينيين المعتقلين من قبل الاحتلال الإسرائيلي، وأضاف قائلاً "نأمل بأن تعود أرض فلسطين كلها يوماً إلى أصحابها الحقيقيين"⁹⁹.

⁹⁵ وكالة مهر للأنباء، 2009/7/12، انظر: <http://www.mehrnews.com/>

⁹⁶ العرب، 2009/12/21.

⁹⁷ صحيفة المصري اليوم، القاهرة، 2011/4/29.

⁹⁸ موقع قناة العالم، 2011/10/17، انظر: <http://www.alalam.ir/news/769484>

⁹⁹ الحياة، 2011/10/19.

زار إسماعيل هنية إيران في شباط/ فبراير 2012؛ وقد أكد المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي خلال لقائه مع هنية أن القضية الفلسطينية هي قضية الإسلام وقضيتنا المركزية، وقال: ”إننا سنبقى إلى جانب الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة، وإيران ثابتة وصادقة تجاه القضية الفلسطينية ولن نخذلها أبداً“¹⁰⁰.

وقال إسماعيل هنية، خلال زيارته لطهران، ألا تغيير في موقف إيران ”الثابت والأصيل“ في دعم المقاومة الفلسطينية، وقال هنية في لقاء خاص مع قناة العالم الإخبارية إن موقف إيران من القضية الفلسطينية ”موقف استراتيجي، وإن دعم إيران للمقاومة والشعب الفلسطيني وتعزيز صموده، ينطلق من إيمان والتزام إسلامي، ومن قيم أخلاقية وأبعاد سياسية“. وأضاف هنية أن الدعم الذي تقدمه إيران للفلسطينيين غير مشروط، ومرحب به من قبل حكومته ومن حركة حماس، كما لو كان من أيّ جهة أخرى وبالظروف نفسها. ورفض هنية أن تكون المقاومة الفلسطينية ورقة سياسية بيد إيران؛ وقال إن الواقع هو أن ”الشعب الفلسطيني يقع تحت الاحتلال، وأن إيران لبّت نداءه وكانت وفية له، ولم تطلب يوماً شيئاً مقابل ذلك، معتبرة ذلك التزاماً إسلامياً تجاه شعب مسلم والقدس والأقصى“. وشدد هنية على وحدة الأمة الإسلامية، وأن التناقض الرئيسي يجب ألا يكون داخلها بل يجب أن يكون مع الاحتلال الإسرائيلي والهيمنة الأمريكية. وحول محاولات إظهار إيران على أنها هي العدو الرئيسي للعرب في المنطقة بدل كيان الاحتلال الإسرائيلي، قال إن ”إسرائيل“ ستبقى هي ”العدو الرئيس للأمة“، وأن التناقض الرئيسي سيظل مع ”هذا المشروع السرطاني“¹⁰¹.

من جهة أخرى، رأت أطراف فلسطينية وعربية في علاقة حماس مع إيران عبئاً عليها بسبب ما يروونه من سياسات إيرانية تأخذ طابعاً ”فارسيّاً“ أو ”طائفياً“، وأن العلاقة بالمقاومة وحماس تستخدم للتغطية على السلوك و”الأطماع“ الإيرانية في المنطقة. كما رأت أطراف إيرانية في المقابل، أن إيران تدفع أثماناً هائلة نتيجة سلوكها الداعم للمقاومة، وتعاني لذلك من حصار اقتصادي أمريكي وغربي مرير، بينما الأطراف الفلسطينية لا تُقدّر ما تقدمه إيران، في الوقت الذي تهرول فيه الأطراف العربية نحو

¹⁰⁰ وكالة أنباء فارس، 2012/2/12، انظر: <http://arabic.farsnews.com>

¹⁰¹ موقع قناة العالم، 2012/2/12.

التسوية السلمية مع "إسرائيل"؛ ولذلك، تعرضت حماس بسببها إلى النقد والاتهام، وخصوصاً من جانب أنظمة "الاعتدال" العربي، وقيادة حركة فتح وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، التي اتهمتها بالتبعية لإيران وتلقي الأموال منها. كما تعرضت هذه العلاقة لاحقاً إلى النقد والاتهام من الجانب الإيراني نفسه، خصوصاً من بعض رموز الإصلاحيين في نزوة خلافهم مع المحافظين ومع قيادة مرشد الثورة حول نتائج الانتخابات الرئاسية التي جرت في سنة 2009. وهي الانتخابات التي اتهمت فيها المعارضة السلطة بتزوير النتائج لفوز محمود أحمددي نجاد بولاية ثانية. وقد رأت زوجة المرشح المعارض مير حسين موسوي Mir Hossein Mousavi، في مقابلة تلفزيونية مع قناة العربية في 2009/6/11:

أن سياسة أحمددي نجاد الخارجية هي سياسة الفوضى... في حين أن مير حسين موسوي عندما سيتابع السياسة الخارجية سيطرح مسألة السلام والسلام العالمي وسيتابع المصالح الوطنية الإيرانية، يعني مصالحنا ستكون لها الأولوية. لا نريد أن ندخل في تحالفات مكلفة... بالنسبة لفلسطين شعار فلسطين هو شعارنا كذلك. لكننا سنسعى أن نكون أصدقاء لكل العالم وخاصة في المنطقة ومن حولنا ومن الدول المجاورة لنا. لا نريد أن يكون هناك تشنج وإرهاب... ونريد أن نحافظ على ثرواتنا من أجل شعبنا.

كما كانت شعارات المتظاهرين المؤيدين لموسوي عندما نزلوا إلى الشارع في يوم عاشوراء أكثر وضوحاً من تلميحات زوجة موسوي تجاه "أولوية المصالح الوطنية"، فقد أعلن هؤلاء التبرؤ من عبء المقاومة في لبنان وفلسطين قائلين: "لا غزة ولا لبنان... نستشهد من أجل إيران"¹⁰². وشنّ نشاطاً في حركة موسوي الخضراء (الحركة الخضراء في إيران Green Movement) هجوماً إلكترونياً على حماس،... وعلى مصدر الأموال التي تحصل عليها الحركة الفلسطينية¹⁰³.

غير أن الخط العام لإيران وحماس ظلّ يصر على الاحتفاظ بالعلاقة، على اعتبار الالتقاء الاستراتيجي في العداء للكيان الصهيوني وفي تحرير كل فلسطين.

¹⁰² الرأي، عمّان، 2009/9/19.

¹⁰³ الحياة، 2009/9/10؛ راجع كذلك مقال: الفائزي، صورة تذكارية مع ناهبي أموال الملة الإيرانية، موقع شبكة الغرف الإخبارية، 2011/10/3.



2. العلاقة بعد الثورات العربية:

رأى البعض أن ما حصل في سورية في إطار الثورات العربية، أدى إلى تباعد المواقف بين حماس وطهران، لأن مواقف إيران كانت إلى جانب النظام في سورية؛ في حين كانت حماس أكثر تحفظاً في تأييد النظام السوري، خصوصاً وأن حركة الإخوان المسلمين كانت جزءاً من المعارضة السورية. توافقت الشائعات عن هذا التباعد مع أنباء أخرى عن رغبة حركة حماس بنقل مكاتبها من سورية إلى قطر أو إلى القاهرة، ومنهم من ذهب في هذا الافتراض إلى حد القول بأن حماس ستنتقل مكاتبها من دمشق إلى تركيا¹⁰⁴.

لم يظهر في سياسات إيران ما يشير إلى تبدل سياستها من حماس بسبب الموقف من النظام في سورية. ولم يظهر في مواقف حماس ما يشير إلى هذه الرغبة في الانتقال من دمشق إلى عاصمة أخرى عربية أو تركية. وقد أكد صلاح البردويل، رئيس الدائرة الإعلامية وأحد القادة البارزين في حماس، للجزيرة.نت في 2011/9/25 "أن التباين إزاء أيّ محطة أو قضية لا يفسد ودّ العلاقة بين الطرفين، مشيراً إلى أن إيران دولة معارضة وممانعة لتيار الهيمنة الأمريكية وللعدوان على قطاع غزة، وهذا يتقاطع مع الدور الذي تريده حماس من كلّ الدول العربية والإسلامية.

وشدد البردويل على أن إيران لم تتراجع عن مواقفها تجاه الهيمنة الأمريكية والصهيونية ونحن لم نقطع علاقاتنا بها، ولم تفتّر العلاقة كما يتصور البعض ويحاول الترويج لذلك؛ مؤكداً حرص حركته على علاقات جيدة مع الجميع... وذكر البردويل أن إيران لا تُملي على حماس أيّ شيء، وحماس لا تقبل أن يُملي عليها أحد أيّ شيء، والمصلحة المشتركة قائمة على أساس من احترام وجهات النظر وإيجاد أعذار لبعضنا في القضايا التي نتباين حولها.

وطمأن البردويل بأن هواجس البعض المذهبية من هذه العلاقة ليست موجودة وغير قائمة، وأن من يروج لها هم من يدورون في الفلك الأمريكي والإسرائيلي، مشدداً على أن حماس ليست جسراً مذهبياً لأحد وليست معنية ومهتمة بأيّ نزاعات طائفية. في حين رأى مدير مركز أبحاث المستقبل إبراهيم المدهون للجزيرة.نت أيضاً، في التاريخ نفسه في 2011/9/25:

¹⁰⁴ رجب أبو سريّة، الجزيرة.نت، 2011/9/25.

أن العلاقة بين حماس وإيران علاقة تكامل... وأن العلاقة سياسية بامتياز، تعتمد على تحقيق أهداف الطرفين المرحلية والاستراتيجية. وما بينهما أعمق من أيّ اهتزاز أو معوقات تقف بوجهه، معتقداً أن حماس وإيران استطاعتا تجاوز نقاط الاختلاف التاريخية والمذهبية، والتعقيدات النفسية المتراكمة... مشيراً إلى أن ضبابية المرحلة الحالية وراء انتشار الإشاعات الكثيرة.

بالرغم من فتور علاقة حماس بإيران وتراجعها بعد الثورات والتغيرات في العالم العربي، وخصوصاً في سورية؛ إلا أن إيران لم تتخل عن علاقتها مع حماس، كما أن حماس نفسها لم تقطع صلتها بإيران. لأن حماس تشكل جزءاً مهماً وأساسياً فيما يسمى "محور المقاومة"؛ الذي ترى طهران أنه المحور الذي يواجه الولايات المتحدة و"إسرائيل" في الشرق الأوسط. وترى إيران أن دعم حماس ينسجم مع مبادئها في تأييد حركات المقاومة والمستضعفين في العالم. وبالنسبة لإيران فإن دعمها لحماس ينفي عنها تهمة السياسات المذهبية. وكلما استطاعت حماس أو حركات المقاومة في فلسطين الصمود وإضعاف "إسرائيل"، فهذا يشكل على المستوى الاستراتيجي عوامل قوة لإيران التي تعدُّ نفسها في حالة مواجهة متعددة المستويات الأمنية والعسكرية والنفسية مع "إسرائيل"، خصوصاً وأن إيران تؤكد بلسان قادتها في كل المناسبات "لا شرعية" هذا الكيان، وهي لا تؤيد التفاوض معه، ولا تعترف بأي سلام بين الفلسطينيين وبينه.

ولكن على الرغم من هذا الانسجام في المصالح والمبادئ بين حماس وإيران، بقيت حماس ملتزمة بميثاقها لجهة الاستقلالية وعدم الانحياز إلى هذا الطرف العربي أو الإسلامي. وإذا كانت حماس وقفت أحياناً لتعلن تأييدها إيران في أيّ مواجهة محتملة مع "إسرائيل" أو حتى مع الولايات المتحدة¹⁰⁵، إلا أنها لم تطلق أيّ موقف ضد أيّ دولة عربية أو إسلامية كانت على خلاف أو تباين في الرأي أو المصالح، أو السياسات مع إيران مثل المملكة السعودية، أو مصر، أو تركيا، أو حتى أيّ دولة من دول الخليج الأخرى. ولم تلزم حماس نفسها بكل المواقف أو السياسات الإيرانية؛ ففي قضية التوجه الفلسطيني إلى الأمم المتحدة لنيل عضوية فلسطين في هذه الهيئة الدولية على سبيل المثال، رفضت

¹⁰⁵ "الجمهورية الإسلامية تدافع عن حقوق الفلسطينيين ونحن سندافع عن حقوق إيران الإسلامية. نحن في جبهة واحدة ضد أعداء الإسلام... حماس ستحارب مع إيران إذا هاجمتها أميركا عسكرياً...". انظر: تصريح لخالد مشعل في أثناء زيارته لإيران، في: *The Daily Star*, 21/3/2007.



إيران هذا التوجه ورأته بلسان رئيس الجمهورية خيانة للحق الفلسطيني¹⁰⁶، وهو بلسان مرشد الثورة "إنهاء لحق العودة وحقّ الفلسطينيين في أراضي 1948"¹⁰⁷. في حين رأى خالد مشعل، في المؤتمر نفسه الذي جمعه مع القيادة الإيرانية في طهران، خطوة طلب عضوية فلسطين في الأمم المتحدة "مكسباً رمزياً ومعنوياً لا ننكره"¹⁰⁸. وثمة من يرى أن مشاركة حماس في انتخابات 2006 التشريعية كانت ضدّ رغبة طهران. كما أن موقف حماس المؤيد لدولة فلسطينية تنشأ في داخل ما يعرف بـ "حدود عام 1967"، أو موقفها المؤيد لهدنة تمتد سنوات عديدة مع "إسرائيل"، لم يكن متطابقاً مع سياسات إيران أو مع "استراتيجيتها الفلسطينية"، التي لا تشجع أيّ تفاوض أو أيّ هدنة، أو أيّ اعتراف.

بالرغم من أن علاقات حماس وحكومتها في قطاع غزة بإيران شهدت مزيداً من البرود والفتور، وتراجعت في الدعم المالي واللوجيستي خلال سنتي 2012-2013 نتيجة تباين المواقف، خصوصاً تجاه الأوضاع في سورية، إلا أنها استمرت ولو في حدودها الدنيا. وبرز للعلن الدعم الإيراني النوعي لحماس وقوى المقاومة في العدوان الإسرائيلي على غزة في تشرين الثاني/ نوفمبر 2012 حيث تمكنت المقاومة الفلسطينية من إحراز إنجاز كبير، وضربت صواريخها تل أبيب، ومناطق واسعة تحت سيطرة الكيان الإسرائيلي، ومنعت العدو من إنجاز أهدافه العسكرية والأمنية. وبرز دور السلاح الإيراني في تحقيق هذا الإنجاز. وقال رئيس البرلمان الإيراني علي لاريجاني "نحن لا نخفي دعمنا لفلسطين... إن الكيان الإسرائيلي ورم سرطاني، ونحن نقدم المساعدات إلى الشعب الفلسطيني حتى المساعدات التسليحية، وفي حرب الثمانية أيام استطاع أهالي غزة بواسطة هذه المساعدات من الدفاع وإلجام الكيان الإسرائيلي"¹⁰⁹.

غير أن العلاقات عادت للفتور بعد ذلك، ولكن وعلى الرغم من هذا الاختلاف، الذي لم يعد من الممكن التكتّم عليه، كانت التصريحات والمواقف الإيرانية والحمساوية تؤكد على عدم القطيعة وعلى استمرار التواصل بين الطرفين¹¹⁰.

¹⁰⁶ السفير، 2011/9/24.

¹⁰⁷ الأخبار، 2011/10/3.

¹⁰⁸ المؤتمر الدولي الخامس لدعم الانتفاضة الفلسطينية، 2-2011/10/3.

¹⁰⁹ سما، 2013/2/13.

¹¹⁰ مهر، 2013/7/23.

وفي تأكيد على ما أصاب علاقة حماس مع إيران من فتور وتراجع، أكد محمود الزهار أحد أبرز قادة حركة حماس أن "العلاقات بين الحركة وإيران استؤنفت مجدداً، بعد فتور بسبب الموقف من الأحداث في سوريا". وشدد الزهار على أن "علاقتنا لم تنقطع مع إيران، ولا نريد أن نقطعها مع أي من الدول العربية حتى تلك التي تحاربنا"¹¹¹.

واستكمالاً لهذا الحرص المتبادل على استعادة العلاقات بين إيران وحماس، زار عضو المكتب السياسي لحماس محمد نصر إيران، وقال المستشار السياسي لرئيس الوزراء إسماعيل هنية، يوسف رزقة، تعليقاً على هذه الزيارة، إن "القضية التي تجمع حماس مع إيران هي قضية القدس والتحرير، وهي عناصر جمع أكبر من نقاط الخلاف"، وإن "القواسم المشتركة مع إيران كثيرة، فهي تواجه التهديدات الأميركية والإسرائيلية التي تشكل خطراً عليها وكذلك الأمر بالنسبة لحماس"، لافتاً إلى أن "حماس لم تتدخل في الشأن الإيراني الداخلي، وحتى في الملف السوري، فإن حماس لا تتدخل، ولكنها عبرت عن موقف مساند لحق الشعب السوري في الحرية..."¹¹².

ويخصص عضو المكتب السياسي لحركة حماس موسى أبو مرزوق قضية الموقف من سورية والخلاف الذي أثير حوله مع إيران، بقوله في مقالة له في القدس العربي بعنوان "مأزق حماس وثوابتها الوطنية" بقوله إن "العلاقة مع إيران تأثرت في ما جرى في سوريا، وحاولنا عزل مواقفنا المختلفة حولها، وإبقاء العلاقة مع إيران بمستواها المعروف، ولكن العلاقة تأثرت، ونحاول ترميم ما عطب منها، خدمة لشعبنا ولقضيتنا"¹¹³.

خلاصة:

لم يكن لمنظمة التعاون الإسلامي أيّ علاقات خاصة مع حركة حماس أو مع أي من حركات المقاومة الأخرى. لكن المنظمة كانت تعبر عن مواقف الأنظمة السياسية المشاركة فيها، وليس الشعوب التي تمثلها هذه الأنظمة. وبالتالي، وقفت المنظمة بشكل عام إلى جانب استراتيجية السلام مع "إسرائيل". وبشكل عام، رفضت المنظمة أي عدوان إسرائيلي على الشعب الفلسطيني، والسياسات الإسرائيلية التي تعرقل التفاوض مع

¹¹¹ المستقبل، 2013/12/10.

¹¹² الحياة، 2013/10/10.

¹¹³ القدس العربي، 2013/12/18.



الفلسطينيين، ودعت إلى إنشاء دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة. وقد اعترفت منظمة التعاون الإسلامي بفوز حماس في انتخابات المجلس التشريعي، وأيدت الحوار الفلسطيني الفلسطيني، وشجعت المصالحة بين فتح وحماس، وحاولت أن تلعب دوراً مباشراً في هذه المصالحة، دون أن تصل إلى نتائج واضحة.

أما بشأن علاقة حماس بتركيا، فيمكن القول إن أربع محطات "تاريخية" على المستوى الفلسطيني أسهمت في فاعلية الدور التركي، وفي فتح آفاق العلاقة التركية مع حركة حماس، وهي: الانتخابات التشريعية سنة 2006 التي فازت فيها حركة حماس، والاشتباكات الفلسطينية - الفلسطينية في قطاع غزة بين فتح وحماس، والعدوان الإسرائيلي على غزة في نهاية 2008 وبداية 2009 للقضاء على حركة حماس، وحادثة الاعتداء الإسرائيلي على سفينة كسر الحصار التركية مافي مرمرة في 2010/5/31. وعلى الرغم من الأدوار التي لعبتها تركيا في هذه المحطات الثلاث، من ناحية الاعتراف بنتائج الانتخابات وتشجيع حماس على "التخلي عن العنف"، أو من ناحية الوساطة بين فتح وحماس، أو التنديد بالعدوان الإسرائيلي على غزة، فإن خيار تركيا مع حزب العدالة والتنمية بقي تحت سقف "المبادرة العربية للسلام"، أي الدعوة إلى التفاوض والاعتراف والعلاقات الطبيعية، إذا وافقت "إسرائيل" على الانسحاب إلى حدود سنة 1967. أي أن الخلاف التركي مع "إسرائيل" حول القضايا التي ذكرناها، لم يبذل ثوابت تركيا الأوروبية والأطلسية من وجود "إسرائيل"، ومن ضرورة الاعتراف بها، ومن خيار التفاوض للوصول إلى السلام معها. كما أن الثورات العربية التي اندلعت في مطلع سنة 2011 في تونس ومصر، وانتقلت إلى بلدان أخرى في المنطقة العربية، وعززت من الدور التركي ومن فاعليته، لم تغير بدورها هذه الاستراتيجية التركية حتى كتابة هذه السطور. إنه من الصعب على تركيا أن تكون جزءاً من بنية السياسات الغربية في المنطقة، وأن تنهج في الوقت نفسه سياسات معادية لـ "إسرائيل". ولذلك، فمن غير المتوقع في الظروف الراهنة أن تذهب العلاقات التركية الإسرائيلية إلى قطيعة كاملة، ولذلك فستتابع على الأغلب سياستها في "الدعم المحسوب" لحماس.

وعند دراسة علاقة حماس بإيران، يلاحظ أن إيران استمرت في إعلان مواقف الدعم والتأييد لحركة حماس طوال فترة علاقتهما منذ نحو ربع قرن. وقد استمرت إيران في رفض التفاوض بين الفلسطينيين والإسرائيليين، واستمرت في التأكيد على مواقفها الثابتة من شرعية المقاومة، ومن لا شرعية الكيان الصهيوني. وخلافاً لمنطق الدول

الإسلامية الأخرى (بما فيها تركيا)، شددت طهران على زوال هذا الكيان، وتحدث مسؤولوها عن تفاؤلهم بقرب هذا الزوال. بل إن إيران ذهبت إلى حد التشكيك في شرعية المفاوضات الفلسطيني، ودانت سياسات "إسرائيل" التهودية، وجددت تأييد المقاومة وثقتها بأنها الطريق الوحيد للقضاء على "إسرائيل" وتحقيق النصر.

حماس ما تزال في حاجة إلى دعم إيران كدولة إسلامية مهمة، طالما بقي صراعها مستمراً كحركة مقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، وطالما بقي أفق التسوية مسدوداً ولا ضوء يلوح في نهاية النفق. لذا ستحتاج حماس إلى العلاقة ليس مع إيران فقط، بل ومع تركيا، ومع باقي الدول الإسلامية والعربية؛ خصوصاً وأن مرحلة ما بعد "الثورات العربية" ما تزال مرحلة ضبابية، لا تسمح في المدى المنظور بأي تغيير في الخيارات الاستراتيجية.

وستبقى إيران أيضاً على علاقتها الوثيقة مع حماس، طالما بقيت إيران متمسكة باستراتيجية المواجهة مع الكيان الإسرائيلي، ومع الولايات المتحدة. وحماس بالنسبة إلى إيران حركة مقاومة في إطار هذه الاستراتيجية. هكذا تفترق إيران في رؤيتها الاستراتيجية للعلاقة مع حماس ودعمها لها على مستويات عدة، عن توجهات وسياسات الدول الإسلامية الأخرى مثل تركيا أو أي دولة أخرى من بقية دول "منظمة المؤتمر الإسلامي". ومن المتوقع أن تتحسن علاقة حماس بإيران فيما إذا تقدمت فرص التسوية السياسية في سورية، أو إذا قامت "إسرائيل" بشن أي عدوان جديد على الشعب الفلسطيني في غزة.

